اختلاف القراءات القرآنية
فى
تعاقب الصوائت

دارسة لغوية فى ضوء ما أورده السمين الحلبى

فى تفسير سورة البقرة " نموذجا "

دكتور

سعيد محمد محمود الفواخرى

الأستاذ المساعد فى قسم أصول اللغة فى كلية اللغة العربية

فرع جامعة الأزهر بالزقازيق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٠

وبعد

فقد حظيت الدراسة الصوتية باهتمام علماء اللغة القدامى، وقد جاء ذلك واضحا فى الدراسات الصوتية التى قام بها الخليل بن أحمد الفراهيدى فى كتابه "العين"، وكذلك إمام العربية سيبويه (ت ١٨٠هـ)، والعلامة ابن جنى(ت ٣٩٢هـ) الذى أرسى قواعد الدرس الصوتى ووضع له المعالم والحدود، مما جعل الكثير من علماء الغرب قديما وحديثا يشهدون للعرب بالسبق فى هذا المجال،وكذلك كان للجهود التى قام بها الشيخ الرئيس ابن سينا أثر واضح فى اهتمام العرب بلغة كتابهم والحفاظ عليها٠

ولم يقتصر جهود العلماء العرب فى الاهتمام بلغتهم عند علماء اللغة والنحو، بل كان لعلماء التفسير دور بارز فى إبراز النواحى اللغوية فى تفسير القرآن الكريم، ومن هؤلاء العلماء الإمام أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبى[١]، فقد ضمن كتابه الدر المصون كثيرا من المباحث اللغوية التى جعلت من هذا الكتاب مصدرا أساسيا

---

(١) هو شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود بن إبراهيم الشافعى الحلبى المعروف بالسمين الحلبى،نشأ فى حلب، ثم رحل إلى القاهرة،وفيها برع وأجاد وأصبح من علمائها المعروفين، تتلمذ على أبىحيان ولازمه إلى أن فاق أقرانه،كما أنه أخذ العلم عن علماء آخرين منهم التقى الصائغ،ويونس الدبوسى،والعشاب، وتوفى السمين رحمه الله فى سنة٧٥٦هـ فى القاهرة وقد ترك آثارا كثيرة أشهرها الدر المصون وعمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ ٠ =

=ينظر: الدرر الكامنة ١/ ٣٣٩، ٣٤٠، النجوم الزاهرة ٣٢١/١٠، طبقات المفسرين ١/ ١٠١، ١٠٢، بغية الوعاة ٤٠٢/١، الأعلام ١/ ٢٧٤، معجم المؤلفين ١/ ٣٢٩، كشف الظنون ١٢٢/١، تاريخ الأدب العربى . كارل بروكلمان ٢/ ١٣٨، وقد سبق أن قمت بإعداد بحث فى الصوامت اللغوية فى سورة البقرة من خلال كتاب الدر المصون، ورأيت من الخير إتمام الدراسة الصوتية لهذه السورة المباركة، فقمت بدراسة الصوائت٠

لا يمكن لأى باحث لغوى الاستغناء عن الرجوع إليه والانتفاع به فى مستويات اللغة: الصوتية والنحوية والصرفية والدلالية.

لهذا فإنى استخرت الله تعالى وقمت بإعداد بحث فى (**اختلاف القراءات القرآنية فى تعاقب الصوائت دراسة لغوية فى ضوء ما أورده السمين الحلبى فى تفسير سورة البقرة" نموذجا**") فى هذا الكتاب. وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب لى ولهذا البحث القبول وأن يجعله عملا متقبلا، خالصا لوجهه الكريم.

وقد قمت بجمع المادة اللغوية ثم صنفتها إلى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة وفهارس.

ففى المقدمة تحدثت عن أهمية الموضوع وسبب اختياره.

وفى التمهيد: عرضت لمصطلحات (الصوائت والحركات) و(الصوائت والمصوتات) فى استعمالات القدماء.

وفى الفصل الأول: تناولت ظاهرة التعاقب فى الصوائت مبرزا القيمة الدلالية ما أمكن.

وفى الفصل الثانى: تناولت ظاهرة التعاقب بين الصوائت والسكون مبرزا القيمة الدلالية ما أمكن.

وفى الفصل الثالث : تناولت ظاهرة الإتباع فى الصوائت .

وفى الفصل الرابع : تناولت ظاهرة الإمالة.

وفى الفصل الخامس : تناولت ظاهرة المخالفة فى الصوائت

وفى الخاتمة : ذكرت أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال هذا البحث.

ثم جاء فهرس المصادر والمراجع.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

د/ سعيد محمد محمود الفواخرى

تمهيد

بين مصطلحات : (الصوائت والحركات) و(المصوتات ، والصوائت)

أولا : بين مصطلحى : (الصوائت، والحركات):

لقد استعمل القدماء مصطلح (الحركات) للدلالة على الفتحة والكسرة والضمة، فهذا أبوالأسود الدؤلى يستعمل مصطلح الحركات، وذلك حين أراد أن يضبط رسم المصحف الشريف "فأحضر من يمسك المصحف وأحضر صبغا يخالف لون المداد، وقال للذى يمسك المصحف عليه: إذا فتحت فاى فاجعل نقطة فوق الحرف، وإذا كسرت فاى فاجعل نقطة تحت الحرف، وإذا ضممت فاى فاجعل نقطة أمام الحرف، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة (يعنى تنوينا) فاجعل نقطتين، ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف"(١).

وهذه فيما نعلم أول إشارة تاريخية لتسمية هذه الأصوات، وإن كان هذا التابعى الجليل لم يكن يدور فى خلده أن هذه التسمية سيكون لها أهميتها الاصطلاحية فيما بعد، لأن من الواضح أن الحركات التى يقصدها إن هى إلا حركات الشفتين عند نطق هذه الأصوات(٢).

وقد استعمل الخليل بن أحمد مصطلح (حركة) للدلالة على الفتحة والكسرة والضمة، فقد ذكر الأزهرى عن غير ابن المظفر عن الخليل أنه قال: "الحروف التى بنى منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفا، لكل حرف منها صرف وجرس، أما الجرس فهو فهم الصوت فى سكون الحرف، وأما الصرف فهو حركة الحرف"(٣).

وقد استعمل ابن جنى مصطلح (الحركات) للدلالة على الفتحة والكسرة والضمة، وهذا واضح فى قوله: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهى الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهى: الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو ...

---

(١) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى ٣/ ١٥٦ .
(٢) الحركات العربية فى ضوء علم اللغة الحديث د/ الموافى الرفاعى البيلى ٦، ٧ .
(٣) التهذيب ١/ ٥٠ .

ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه..." [١].

ويلحظ من كلام ابن جنى أنه يوسع دائرة الحركات لتشمل الحركات الطوال أيضا، وهى الألف والياء والواو، وقد ضم إليها الخليل الهمزة، ووصفها بأوصاف أخرى فتارة ينسبها إلى الجوف، ومرة أخرى يصفها بالهوائية لأنها ليس لها حيز تنسب إليه، وإنما هى فى الهواء، وهذا يتضح من قوله: "فى العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهى: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع فى مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة إنما هى هاوية فى الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"[٢].

لكن سيبويه استعمل مصطلح (حروف اللين والمد) ليشمل الألف والياء والواو[٣] ليشيع إطلاق هذا المصطلح من بعده على الأصوات المذكورة، وإن ظل مصطلح (حركة) مقصورا على الفتحة والضمة والكسرة[٤].

ويصف المبرد (ت٢٨٥هـ) حروف المد واللين بـ(المصوتة) فيقول: "فمن حروف البدل حروف المد واللين المصوتة، وهى الألف والواو والياء"[٥].

وقد وصفها ابن جنى بهذا الوصف أيضا فقال: "والحروف الممطولة هى الحروف الثلاثة اللينة المصوتة، وهى الألف والياء والواو"[٦].

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ١٩، ٢٠ .
(٢) العين ١/ ٥٧، ومقدمة التهذيب ١/ ٥٠ .
(٣) الكتاب ٤/ ١٧٦، ٤٣٤ .
(٤) الحركات العربية أ.د/ الموافى الرفاعى البيلى ٨ .
(٥) المقتضب ١/ ١٩٩ .
(٦) الخصائص ٣/ ١٢٦، ١٢٧ .

وقد وصفها ابن سينا (ت٤٢٨هـ) بهذا الوصف أيضا، وكذلك الإمام الفخر الرازى (ت٦٠٦هـ) حين قال: "فهذا الحرف المصوت إنما حدث لجريان نفسه وامتداده"(١).

ويفهم مما سبق أن القدماء قد استعملوا مصطلح (الحركات) للدلالة على الفتحة والكسرة والضمة، أما الألف، والواو، والياء فقد استعملوا للدلالة عليها أوصافا منها: أحرف الجوف، الهوائية، حروف المد واللين، المصوتة.

أما المجموعة الكبرى من الأصوات والتى تقابل المجموعة السابقة فقد تسمى بالحروف الصحاح(٢)، وبالحروف الساكنة أو السواكن، من حيث إن الأصل فى الحرف عندهم السكون ما لم يضبط بحركة تقلقه وتجتذبه إلى الحرف الذى هى بعضه(٣) ومن العلماء من أطلق على هذه المجموعة مصطلح "الصوامت"(٤).

ثانيا : بين مصطلحى : (المصوتات ، والصوائت):

وقد أثبت أستاذنا الدكتور عبدالفتاح البركاوى أن المصطلح "مصوت" وكذلك المصطلح " صائت" هو من ابتكار القدماء من اللغويين العرب وأنهم قد سبقوا الغربيين والمحدثين فى معرفة خاصية التصويت لصنف من الأصوات البشرية يشتمل على حروف المد وأبعاضها كما يرى فضيلته : أنه يترجح من الوجهة الاصطلاحية استخدام "مصوت وجمعه مصوتات" لما يأتى:

١ - أن ابن جنى وابن سينا قد استخدما لفظ مصوت للدلالة على حروف المد وأبعاضها من الفتحة والكسرة والضمة.

٢ - أن لفظ صائت قد يصح إطلاقه من الوجهة الصوتية البحتة على بعض الصوامت ذات الوضوح السمعى كالأصوات المتوسطة مثل اللام والميم والنون والراء لأنها تكون ذات صوت

---

(١) أسباب حدوث الحروف ٢١، ٢٢، التفسير الكبير ١/ ٤٨ .
(٢) العين ١/ ٥٧ .
(٣) الحركات العربية أ.د/ الموافى ٩، وينظر: سر صناعة الإعراب ١/٣٠، ٣١ .
(٤) التفسير الكبير ١/ ٤٨ .

مسموع حتى وإن لم يتبعها حركة أو حرف مد (فهى صائتة ولكنها غير مصوتة) ٠

٣ - أن لفظ مصوت لا ينبغى فهمه على أنه مأخوذ من لفظ صوت اللازم المرادف لصات وإنما من "صوت" المتعدى، أى الذى يجعل غيره ذا صوت "إذ لا يجرى الصوت فى الساكن أى غير المتبوع بحركة أو حرف مد فإذا حرك انبعث الصوت فى الحركة كما يقول ابن جنى[١] ٠

وقد آثرت أنا مصطلح (الصوائت) لأنه الأكثر شيوعا فى كتابات المحدثين كما يقول أستاذنا د/ عبدالفتاح البركاوى ٠

وبعد:

فسأعرض لما قاله السمين عن اختلاف القراءات فى تعاقب الصوائت فى سورة البقرة ، وإن شاء الله تعالى سأقدم فى كل موضع كلامه ، ثم أقفى بالتعليق توثيقا ، أو تفصيلا، أو مناقشة موضحا القيمة الدلالية للصوائت اللغوية ــ إن وجدت ــ وبالله التوفيق ٠

---

(١) المصوتات العربية بين الإفراد والتركيب دراسة وصفية فى ضوء نظرية الصفات الفارقة الدكتور عبدالفتاح البركاوى مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد التاسع ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م صـ ٤٥٢ ــ ٤٥٥ ٠

الفصل الأول
التعاقب فى الصوائت
المبحث الأول
التعاقب بين الفتح والكسر

١ـ فتح الحاء وكسرها من قوله تعالى: (والحج) :

فى قولـــه تعـــالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[١].

يقول السمين: "وقرأ الجمهور: ﴿الحج﴾ بالفتح فى جميع القرآن إلا حمزة والكسائى وحفصا عـــن عاصـــم فقـــرؤوا:﴿حج البيت﴾ [٢] بالكسر، وقرأ الحسن وابن أبىإسحاق بالكسر فى جميع القرآن،وهل هما بمعنى واحد أو مختلفان؟ قال سيبويه:هما مصدران، فـــالمفتوح كالرد والشد، والمكسور كالذكر، وقيل بالفتح هو مصدر، وبالكسر هو اسم"[٣].

ويلحظ مما ذكره السمين أنه يحيل إلى آية سورة آل عمـــران/ ٩٧، وهى قوله تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وفيها يقول :

"وقرأ الأخوان، وحفص عن عاصـــم: ﴿حج﴾ بكســـر الحـــاء، والباقون بفتحها، فقيل: لغتان بمعنى ، الكسر لغة نجد، والفتح لغـــة

---

(١) من الآية ١٨٩ / البقرة .
(٢) من الآية ٩٧ / آل عمران .
(٣) الدر المصون ٢/ ٣٠٤، ٣٠٥ .

أهل العالية، وفرق سيبويه فجعل المكسور مصدرا أو اسما للعمل، وأما المفتوح فمصدر فقط"[١].

ومما ذكره السمين يتبين أن حمزة والكسائى وحفصا عن عاصم قرءوا بكسر الحاء فى قوله تعالى: ﴿ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ أما قراءة الجمهور فهى بفتح الحاء فى الموضعين، كما ذكر السمين أيضا أن ابن أبى إسحاق قرأ بكسر الحاء فى جميع القرآن.

وقد نسب السمين الكسر لأهل نجد ، والفتح لأهل العالية، وقد وافق السمين فى هذا الموضع أبا حيان الذى يقول: "وقرأ حمزة والكسائى وحفص: ﴿حج البيت﴾ بكسر الحاء، والباقون بفتحها، وهما لغتان: الكسر لغة نجد، والفتح لغة أهل العالية، وجعل سيبويه (الحج) بالكسر مصدرا نحو ذكر ذكرا، وجعله الزجاج اسم العمل، ولم يختلفوا فى الفتح أنه مصدر"[٢].

وقد رد الطبرى على من فرق بين القراءتين قائلا: "واختلف القرأة فى قراءة : (الحج) فقرأ ذلك جماعة من قرأة أهل المدينة والعراق بالكسر: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ وذكر ذلك جماعة أخر منهم بالفتح: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ وهما لغتان معروفتان للعرب، فالكسر لغة أهل نجد، والفتح لغة العالية[٣] ولم نر أحدا من أهل العربية ادعى فرقا بينهما فى معنى ولا غيره، غير ما ذكرناه من اختلاف اللغتين، إلا ما حدثنا به أبوهشام الرفاعى قال: قال حسين الجعفى: (الحج) مفتوح اسم، و(الحج) مكسور عمل، وهذا قول لم أر أهل المعرفة بلغات العرب ومعانى كلامهم يعرفونه ، بل رأيتهم

---

(١) الدر المصون ٣/ ٣٢٣ .

(٢) البحر ٣/ ١٠، وينظر: حجة القراءات ١٧٠، والكشف ١/ ٣٥٣، ٣٥٤ .

(٣) فى كتاب الكامل فى اللغة والأدب ١/ ١٦ ذكر المبرد أن أهل العالية هم "قريش ومن والاها" وذكر غيره أن أهل العالية هم "أهل الحجاز" ينظر: مقاييس اللغة (علو) ٤/ ١١٥، ولسان العرب (علا) ٤/٣٠٩٠، العين(علو) ٢/ ٢٦٤، الصحاح (علا) ٦/ ٢٤٣٦، تاج العروس (علا) ١٠/ ٣٥٠ .

مجمعين على ما وصفت من أنهما لغتان بمعنى واحد، والذى نقول به فى قراءة ذلك: أن القراءتين ــ إذا كانتا مستفيضتين فى قراءة أهل الإسلام، ولا اختلاف بينهما فى معنى ولا غيره ــ فهما قراءتان قد جاءتا مجئ الحجة، فبأى القراءتين ــ أعنى بكسر الحاء من (الحج) أو فتحها ــ قرأ القارئ فمصيب الصواب فى قراءته"[١].

٢ ـ فتح السين وكسرها من قوله تعالى: (السلم):

فى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[٢].

يقول السمين: "قرأ هنا: ﴿السلم﴾ بالفتح نافع والكسائى وابن كثير، والباقون بالكسر، وأما التى فى الأنفال[٣] فلم يقرأها بالكسر إلا أبوبكر وحده عن عاصم، والتى فى القتال[٤] فلم يقرأها بالكسر إلا حمزة وأبوبكر أيضا، وسيأتى، فقيل هما بمعنى وهو الصلح، ويذكر ويؤنث، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا ﴾ وحكوا: (بنوفلان سلم وسلم) وأصله من الاستسلام، وهو الانقياد، ويطلق على الإسلام، قاله الكسائى وجماعة، وأنشدوا:

دعوت عشيرتى للسلم لما ∴ رأيتهم تولوا مدبرينا

ينشد بالكسر ، وقال آخر فى المفتوح:

شرائع السلم قد بانت معالمها ∴ فما يرى الكفر إلا من به خبل

---

(١) تفسير الطبرى ٣/ ٥١٩ ط دار الغد، وينظر: اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل ٣/ ٣٣٥ .

(٢) من الآية ٢٠٨ / البقرة .

(٣) الآية ٦١/الأنفال: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ .

(٤) الآية ٣٥/ محمد: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾.

فالسلم والسلم فى هذين البيتين بمعنى الإســـلام، إلا أن الفـــتح فيما هو بمعنى الإسلام قليل، وقرئ ﴿السلم﴾ بفتحهما، وقيل بل همـــا مختلفا المعنى، فبالكسر الإسلام، وبالفتح الصلح"[١].

وقد عزا الطبرى قراءة الفتح لأهل الحجاز، وقراءة الكسر لأهل الكوفة، وهذه عبارته: "وقد اختلفت القرأة فى قراءة ذلـــك، فقرأتـــه عامة قرأة أهل الحجاز: ﴿ادخلوا فى السلم﴾ بفتح السين، وقرأتـــه عامة قرأة الكوفيين بكسر السين، فأما الذين فتحوا السين من (السلم) فإنهم وجهوا تأويلها إلى المسالمة، بمعنـــى ادخلـــوا فـــى الصـــلح والمسالمة وترك الحرب وإعطاء الجزية. وأما الـــذين قـــرءوا ذلـــك بالكسر من السين فإنهم مختلفون فى تأويله، فمنهم من يوجهه إلـــى الإسلام بمعنى ادخلوا فى الإسلام كافة، ومنهم من يوجهه إلى الصلح بمعنى ادخلوا فى الصلح، ويستشهد على أن السين تكسر وهى بمعنى الصلح، بقول زهير بن أبى سلمى:

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا ∴ بمـــال ومعـــروف مـــن الأمـــر نســـلم

وأولى التأويلات بقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ﴾ قول من قـــال: ادخلوا فى الإسلام كافة.

وأما الذى هو أولى القراءتين بالصواب فى قراءة ذلك، فقراءة من قرأ بكسر السين، لأن ذلك إذا قرئ كذلك ــ وإن كان قد يحتمـــل معنى الصلح ــ فإن معنى الإسلام ودوام الأمر الصالح عنـــد العـــرب أغلب عليه من الصلح والمسالمة، وينشد بيت أخى كندة:

دعـــوت عشـــيرتى للســـلم لمـــا ∴ رأيـــــتهم تولـــــوا مـــــدبرينا

بكسر السين بمعنى دعوتهم للإسلام لما ارتدوا، وكان ذلك حين ارتدت كندة مع الأشعث بعد وفاة رسول الله ﷺ.

---

(١) الدر المصون ٢/ ٣٥٨، ٣٥٩.

وقد كان أبوعمرو بن العلاء يقرأ سائر ما فى القرآن من ذكر (السلم) بالفتح سوى هذه التى فى سورة البقرة فإنه كان يخصها بكسر سينها توجيها منه لمعناها إلى الإسلام دون ما سواها"[١].

تعقيب:

إذا كان اختيار ابن جرير الطبرى (السلم) بكسر السين ، فإن قراءة الفتح قراءة سبعية قرأ بها الحرميان والكسائى ، كما أنها قراءة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكلا القراءتين حسن كما ذكر الإمام مكى حين قال : قوله : (فى السلم) قرأه الحرميان والكسائى بفتح السين ، وهى لغة فى (السلم) الذى هو الإسلام... وقرأ الباقون بكسر السين ، فأما من كسر السين فهو واقع على الإسلام وهو المعروف فى اللغة (السلم) بالكسر : الإسلام ، فحضوا على الدخول فى الإسلام ، ولم يحضوا على الدخول فى الصلح وبقاياهم على كفرهم ، وكلا القراتين ، حسن وبالكسر قرأ الحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة وابن أبى إسحاق ،وابن وثاب وعيسى والأعمش والجحدرى ، وبالفتح قرأ الأعرج وشيبة وشبل ، وروى عبدالرحمن ابن أبزى أن النبى عليه السلام قرأ (السلم) فى البقرة والأنفال ، و(الذين كفروا) بالفتح فى الثلاثة" [٢] .

---

(١) تفسير الطبرى ٢/ ٤٦٩، ٤٧٠، وينظر: اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل ٣/ ٤٧٣، ٤٧٤، الكشف ١/ ٢٨٧، وفى حجة القراءات لأبى زرعة ١٣٠ "وقال قوم: هما لغتان".

(٢) الكشف ١/٢٨٧ .

" وصرح أهل اللغة بأن أهل الحجاز كانوا يختارون من اللغات أفصحها ،ومن الألفاظ أعذبها ، فيستعملونه ،ولهذا أنزل القرآن بلغتهم ، وكان منهم أفصح العرب ــ صلى الله عليه وسلم ــ وما ثبت أنه من لغتهم لا يجوز القول بعدم فصاحته" [١] .

٣ ـ كسر السين من (عسى) عند إسناده لبعض الضمائر:

فى قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾[٢].

يقول السمين: "وقرأ نافع: ﴿عسيتم﴾ هنا وفى القتال[٣] بكسر السين، وهى لغة مع تاء الفاعل مطلقا، ومع (نا) ومع نون الإناث نحو: (عسينا، وعسين) وهى لغة الحجاز، ولهذا غلط من قال: عسى تكسر مع المضمر، وأطلق، بل كان ينبغى له أن يقيد الضمير بما ذكرت، إذ لا يقال: الزيدان عسيا، والزيدون عسيوا بالكسر البتة.

وقال الفارسى: ووجه الكسر قول العرب: هو عس بكذا، مثل: حر وشج، وقد جاء فعل وفعل فى نحو: نقم ونقم ، فكذلك عسيت وعسيت ، فإن أسند الفعل إلى ظاهر فقياس عسيتم ــ أى بالكسر ــ أن يقال: عسى زيد مثل: رضى زيد. فإن قيل: فهو القياس وإن لم يقل فسائغ أن يؤخذ باللغتين، فتستعمل إحداهما موضع الاخرى كما فعل ذلك فى غيره، فظاهر هذه العبارة أنه يجوز كسر سينها مع الظاهر طريق القياس على المضمر، وغيره من النحويين يمنع ذلك حتى مع المضمر مطلقا، ولكن لا يلتفت إليه لوروده متواترا، وظاهر قوله: قول العرب: عس، أنه مسموع منهم اسم فاعلها، وكذلك حكاه

---

(١) المصباح (ملح) ٥٧٨/١ .
(٢) من الآية ٢٤٦ / البقرة .
(٣) الآية ٢٢ من سورة محمد ﷺ .

أبوالبقاء أيضا عن ابن الأعرابى ، وقد نص النحويون على أن عسى لا تتصرف"[١].

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن عسى تكسر سينها عند إسنادها لبعض الضمائر ، وهى تاء الفاعل ، و(نا) ونون الإناث وبهذا الوجه قرأ نافع، وهى لغة الحجاز، كما أن السمين قيد هذه اللغة بالضمائر التى ذكرها دون غيرها، ونسب الغلط لمن قال إن عسى تكسر مع المضمر مطلقا وأطلق، بل كان ينبغى له أن يقيد الضمير.

كما رد السمين على بعض النحويين الذين يمنعون كسر السين مع المضمر، بأنه رأى لا يلتفت إليه لوروده متواترا فى قراءة نافع.

وإذا كان السمين لم يذكر قراءة فتح السين فى قوله تعالى: ﴿عسيتم﴾ فإن الإمام مكيا يقول: "والفتح فى السين هى اللغة الفاشية وعليها أجمع القراء، ونافع معهم إذا لم يتصل الفعل بمضمر"[٢].

ويقول أبوحيان: "وقرأ نافع: ﴿عسيتم﴾ بكسر السين هنا وفى سورة القتال، وقرأ الباقون بفتحها"[٣].

---

(١) الدر المصون ٢/ ٥١٥، ٥١٦ .

(٢) الكشف ١/ ٣٠٣ .

(٣) البحر ٢/ ٢٥٥، وينظر: اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل ٤/٢٦٣، ٢٦٤، وحجة القراءات لأبى زرعة ١٤٠، وفيها يقول المؤلف: "القراءة عندنا هى الفتح لأنها أعرف اللغتين".

المبحث الثانى
التعاقب بين الفتح والضم

١ـ فتح الواو وضمها من قوله تعالى: (وقودها):

فى قولـــه تعـــالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[١].

يقول السمين: "وقوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ جملة مـــن مبتـــدأ وخبر صلة وعائد، والألف واللام فى (النار) للعهد لتقدم ذكرها فـــى سورة التحريم ــ وهى مكية ــ عند قوله تعالى:﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾[٢].

والمشهور فتح واو (الوقود) وهو اسم ما يوقد به، وقيل: هو مصدر كالولوع والقبول والوضوء والطهور، ولم يجئ مصدر علـــى فعول غير هذه الألفاظ فيما حكاه سيبويه، وزاد الكسائى: الـــوزوع، وقرئ شاذا فى ســـورة (ق) : ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[٣] فتصـــير سبعة، وهناك ذكرت هـــذه القـــراءة، ولكـــن المشـــهور أن الوقـــود والوضوء والطهور بالفتح اسم وبالضم مصدر ، وقرئ شاذا بضمها وهو مصدر، وقال ابن عطية: وقد حكيا جميعا فى الحطب، وقد حكيا فى المصدر. انتهى، فإن أريد اسم ما يوقد به فلا حاجة إلى تأويـــل، وإن أريد بهما المصدر فلا بد من تأويل وهو: إما المبالغة أى جعلوا نفس التوقد مبالغة فى وصفهم بالعذاب، وإما حذف مضاف إما مـــن الأول أى أصحاب توقدها، وإما من الثانى أى: يوقدها إحراق الناس، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه"[٤].

---

(١) الآية ٢٤ / البقرة .
(٢) من الآية ٦ / التحريم .
(٣) من الآية ٣٨ / ق .
(٤) الدر المصون ١/ ٢٠٥، ٢٠٦ .

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن المشهور فتح الواو من الوقود وهو اسم ما يوقد به، وقيل هو مصدر كالولوع، والقبول، والوضوء، والطهور، والوزوع، ثم نقل عن سيبويه أنه لم يجئ مصدر على فعول غير هذه الألفاظ.

لكن السمين يذكر أن المشهور التفريق بين الفتح والضم فالمفتوح اسم، والمضموم مصدر، أما ابن عطية فقد نقل عن الأئمة أن المفتوح والمضموم حكيا جميعا فى الحطب، وحكيا أيضا فى المصدر.

أما الذى أهمله السمين فهو ذكر القراء الذين قرءوا بالفتح، وكذلك الذين قرءوا بالضم، وعنهم جميعا يخبرنا أبوحيان فيقول: "والجمهور على فتح الواو، وقرأ الحسن باختلاف ومجاهد، وطلحة، وأبوحيوة وعيسى بن عمر الهمدانى بضم الواو"(١).

٢ ـ ضم الكاف وفتحها من قوله تعالى: (كره) :

فى قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾(٢).

يقول السمين: "وقرأ الجمهور: ﴿ كره ﴾ بضم الكاف، وقرأ السلمى بفتحها، فقيل: هما بمعنى واحد، أى مصدران كالضعف والضعف قاله الزجاج وتبعه الزمخشرى، وقيل: المضموم اسم مفعول، والمفتوح المصدر، وقيل: المفتوح بمعنى الإكراه. قاله الزمخشرى فى توجيه قراءة السلمى، إلا أن هذا من باب مجئ المصدر على حذف الزوائد وهو لا ينقاس، وقيل: المفتوح ما أكره عليه المرء، والمضموم ما كرهه هو"(٣).

---

(١) البحر ١/ ١٠٧، وينظر: المحتسب ١/ ٦٣ .
(٢) من الآية ٢١٦ / البقرة .
(٣) الدر المصون ٢/ ٣٨٦ .

وهنا يذكر السمين أن قراءة الجمهور: ﴿كره﴾ بضم الكاف وقراءة السلمى بفتحها، وأن من العلماء من قال هما بمعنى واحد ، ومنهم من فرق بينهما ٠

وفى تهذيب اللغة ينقل الأزهرى عن أحمد بن يحيى أن الكره والكره بمعنى واحد، ولا فرق بينهما فى العربية فيقول: "ذكر الله تبارك وتعالى الكره والكره فى غير موضع من كتابه واختلف القراء فى فتح الكاف وضمها، فأخبرنى المنذرى عن أحمد بن يحيى أنه قال: قرأ نافع وأهل المدينة فى سورة البقرة: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ بالضم فى هذا الحرف خاصة، وسائر القرآن بالفتح، وكان عاصم يضم هذا الحرف أيضا، والذى فى الأحقاف: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾[١] ويقرأ سائرهن بالفتح، وكان الأعمش وحمزة والكسائى يضمون هذه الأحرف الثلاثة، والذى فى النساء: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾[٢] ثم قرءوا كل شئ سواها بالفتح، قال: وقال بعض أصحابنا: نختار ما عليه أهل الحجاز أن جميع ما فى القرآن بالفتح، إلا الذى فى البقرة خاصة فإن القراء قرءوه بالضم٠

قال أحمد بن يحيى: ولا أعلم ما بين الأحرف التى ضمها هؤلاء وبين التى فتحوها فرقا فى العربية ولا فى سنة تتبع، ولا أرى الناس اتفقوا على الحرف الذى فى سورة البقرة خاصة إلا أنه اسم وبقية القرآن مصادر، وقد أجمع كثير من أهل اللغة أن (الكره ، والكره) لغتان فبأى لغة قرئ فجائز ، إلا الفراء فإنه زعم أن الكره ما أكرهت نفسك عليه، والكره ما أكرهك غيرك عليه، جئتك كرها، وأدخلتنى كرها"[٣]٠

---

(١) من الآية ١٥ / الأحقاف ٠
(٢) من الآية ١٩ / النساء ٠
(٣) تهذيب اللغة (كره) ٦/ ١٢ ٠

٣ ـ ضم الغين وفتحها من قوله تعالى: (غرفة) :

فى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾[١] .

يقول السمين: "وقرأ الحرميان وأبوعمرو: (غرفة) بفتح الغين، والباقون بضمها، فقيل: هما بمعنى المصدر، إلا أنهما جاءا على غير المصدر كنبات من أنبت، ولو جاء على المصدر لقيل: اغترافا، وقيل هما بمعنى المغترف كالأكل بمعنى المأكول، وقيل: المفتوح مصدر قصد به الدلالة على الوحدة فإن (فعلة) يدل على المرة، والمضموم بمعنى المفعول، فحيث جعلتهما مصدرا فالمفعول محذوف تقديره: إلا من اغترف ماء، وحيث جعلتهما بمعنى المفعول كانا مفعولا به، فلا يحتاج إلى تقدير مفعول.

ونقل عن أبى على أنه كان يرجح قراءة الضم لأنه فى قراءة الفتح يجعلها مصدرا، والمصدر لا يوافق الفعل فى بنائه، إنما جاء على حذف الزوائد، وجعلها بمعنى المفعول لا يحوج إلى ذلك فكان أرجح"[٢] .

وهنا يذكر السمين أن الحرميين وأبى عمرو قرءوا: ﴿غرفة﴾ بفتح الغين، والباقون بضمها، وذكر أيضا أن من العلماء من قال إنهما بمعنى واحد، ومنهم من فرق بينهما فقال: المفتوح مصدر قصد به الدلالة على الوحدة فإن (فعلة) يدل على المرة، والمضموم بمعنى المفعول، كما ذكر السمين أن أبا على الفارسى ــ رحمه الله ــ كان يرجح قراءة الضم .

وإلى قراءة الضم ذهب الطبرى أيضا فقال: "اختلف القرأة[٣] فى قراءة قوله: ﴿إلا من اغترف غرفة بيده﴾ فقرأه عامة قرأة أهل المدينة

---

(١) من الآية ٢٤٩ / البقرة .

(٢) الدر المصون ٢/ ٥٢٧، ٥٢٨ .

(٣) القرأة جمع قارئ مثل كاتب وكتبة ، وفى المصباح (قرأ) ٢/٥٠٢:" قارئ وقرأة وقراء وقارئون مثل كافر وكفرة وكفار وكافرون"وقد استمل الطبرى لفظ القرأة بدلا من القراء فى تفسيره.

والبصرة : ﴿غرفة﴾ بنصب الغين من الغرفة بمعنى الغرفة الواحدة، من قولك: اغترفت غرفة، والغرفة هى الفعل بعينه من الاغتراف.

وقرأه آخرون بالضم بمعنى الماء الذى يصير فى كف المغترف، فـ(الغرفة) الاسم، وأعجب القراءتين فى ذلك إلى: ضم الغين فى (الغرفة) بمعنى : إلا من اغترف كفا من ماء، لاختلاف (غرفة) إذا فتحت غينها، وما هى له مصدر، وذلك أن مصدر (اغترف) : اغترافة، وإنما (غرفة) مصدر غرفت، فلما كانت (غرفة) مخالفة مصدر اغترفت ، كانت (الغرفة) التى بمعنى الاسم على ما قد وصفنا، أشبه منها بـ(الغرفة) التى هى بمعنى الفعل"[١].

٤ـ فتح الفاء وضمها من قوله تعالى: (الفقر):

فى قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾[٢].

يقول السمين: "وقرأ الجمهور: ﴿الفقر﴾ بفتح الفاء وسكون القاف، وروى أبوحيوة عن بعضهم ﴿الفقر﴾ بضم الفاء وهى لغة"[٣].

وهنا يذكر السمين أن قراءة الجمهور: ﴿الفقر﴾ بفتح الفاء، أما ﴿الفقر﴾ بضم الفاء فهى لغة، وبالرجوع إلى صاحب البحر وجدته ذكر هذه اللغة أيضا فقال: "وروى أبوحيوة عن رجل من أهل الرباط أنه قرأ: ﴿الفقر﴾ بضم الفاء وهى لغة"[٤].

وفى تهذيب اللغة: "والفقر: لغة رديئة"[٥].

٥ـ فتح السين وضمها من قوله تعالى: (ميسرة):

---

(١) تفسير الطبرى ٢/ ٨٩٣ ، ٨٩٤، وينظر: اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل ٤/ ٢٨١، ٢٨٢، والسبعة لابن مجاهد ١٨٦، ١٨٧، حجة القراءات لأبى زرعة ١٤٠، والكشف ١/ ٣٠٣، ٣٠٤ .

(٢) من الآية ٢٦٨ / البقرة .

(٣) الدر المصون ٢/ ٦٠٤ .

(٤) البحر ٢/ ٣١٩، وينظر: اللباب فى علوم الكتاب لابن عادل ٤/٤١٤ .

(٥) تهذيب اللغة (فقر) ٩ / ١١٣، وينظر : لسان العرب (فقر) ٥/٣٤٤٤ .

فى قوله تعالى:﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾[١].

يقول السمين: "قوله: ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ قرأ نافع وحده: ﴿ميسرة﴾ بضم السين، والباقون بفتحها، والفتح هو المشهور إذ مفعل ومفعلة بالفتح كثير، ومفعل بالضم معدوم إلا عند الكسائى، وسأورد منه ألفاظا، وأما مفعلة فقالوا: قليل جدا، وهى لغة الحجاز، وقد جاءت منها ألفاظ نحو: المسرقة، والمقبرة والمشربة والمسربة والمقدرة والمأدبة، والمفخرة والمزرعة ومعولة، ومكرمة ومألكة .

وقد رد النحاس الضم تجرؤا منه، وقال: لم تأت مفعلة إلا فى حروف معدودة ليس هذه منها، وأيضا فإن الهاء زائدة ولم يأت فى كلامهم مفعل البتة. انتهى. وقال سيبويه : ليس فى الكلام مفعل، قال أبوعلى: يعنى فى الآحاد، وقد حكى عن سيبويه مهلك مثلث اللام، وقال الكسائى: مفعل فى الآحاد، وأورد منه: مكرما فى قول الشاعر:

ليوم روع أو فعال مكرم ∴ ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا

ومعون فى قول الآخر ــ هو جميل ــ:

بثين الزمى "لا" إن لا إن لزمته ∴ **على كثرة الواشين أى معون**

ومألكا فى قول عدى:

أبلغ النعمان عنى مألكا ∴ **أنه قد طال حبسى وانتظارى**

وهذا لا يرد على سيبويه لوجهين أحدهما : أن هذا جمع لمكرمة ومعونة ومألكة، وإليه ذهب البصريون والكوفيون خلا الكسائى، ونقل عن الفراء أيضا، والثانى: أن سيبويه لا يعتد بالقليل فيقول: لم يرد كذا وإن كان قد ورد منه الحرف والحرفان، لعدم اعتداده بالنادر القليل"[١].

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن نافعا وحده قرأ: ﴿ميسرة﴾ بضم السين، وقرأ الباقون بفتحها وهو المشهور لأن مفعل ومفعلة

---

(١) من الآية ٢٨٠ / البقرة .

كثير، أما مفعلة بضم العين فقليل وقد جاءت منه ألفاظ وهى لغة الحجاز.

وقد وافق السمين أبا حيان الذى يقول: "وقرأ نافع وحده: ﴿ميسرة﴾ بضم السين والضم لغة أهل الحجاز وهو قليل كمقبرة ومشرفة ومسربة، والكثير مفعلة بفتح العين، وقرأ الجمهور بفتح السين على اللغة الكثيرة وهى لغة أهل نجد"(٢).

ويقول الإمام مكى: "والفتح هو الاختيار، لإجماع القراء عليه، ولأنه الأكثر فى الاستعمال بالهاء وبغير هاء"(٣).

---

(١) الدر المصون ٢/ ٦٤٦ ، ٦٤٨ .
(٢) البحر ٢/ ٣٤٠ .
(٣) الكشف ١/ ٣١٩، وينظر: حجة القراءات لأبى زرعة ١٤٩، والسبعة لابن مجاهد ١٩٢، اللهجات العربية والقراءات القرآنية د/إبراهيم أبوسكين ١٥٠ .

المبحث الثالث
التعاقب بين الكسر والضم

١ ـ كسر الهاء وضمها من قوله تعالى: (فيه):

فى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[١].

يقول السمين: "والهاء فى (فيه) أصلها الضم، كما تقدم[٢]، من أن هاء الكناية أصلها الضم، فإن تقدمها ياء ساكنة أو كسرة كسرها غير الحجازيين، وقد قرأ حمزة: ﴿لأهلهامكثوا﴾ [٣]، وحفص فى ﴿عاهد عليهالله﴾ [٤] ، ﴿وما أنسانيهإلا﴾ [٥] بلغة الحجاز، والمشهور فيها ــ إذا لم يلها ساكن وسكن ما قبلها نحو : فيه ومنه ــ الاختلاس، ويجوز الإشباع وبه قرأ ابن كثير، فإن تحرك ما قبلها أشبعت، وقد تختلس وتسكن، وقرئ ببعض ذلك كما سيأتى مفصلا"[٦].

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن هاء الكناية أصلها الضم، فإن تقدمها ياء ساكنة، أو كسرة فإن للعرب فيها لغتان: الضم لأهل الحجاز، والكسر لغيرهم، وبلغة الحجاز قرأ حمزة: ﴿لأهلهامكثوا﴾ وحفص فى: ﴿عاهد عليهالله﴾ ، ﴿وما أنسانيهإلا﴾ .

٢ ـ كسر الراء وضمها من قوله تعالى: (رجزا):

---

(١) الآية ٢ / البقرة .

(٢) يشير السمين إلى ما ذكره سابقا فى قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الآية ٧/ الفاتحة، وهو قوله : "والأصل فى هاء الكناية الضم، فإن تقدمها ياء ساكنة أو كسرة كسرها غير الحجازيين، نحو: عليهم وفيهم وبهم، والمشهور فى ميمها السكون قبل متحرك، والكسر قبل ساكن، هذا إذا كسرت الهاء، أما إذا ضممت فالكسر ممتنع إلا فى ضرورة كقوله: (وفيهم الحكام) "بكسر الميم" ينظر: الدر المصون ١/ ٧٠ .

(٣) من الآية ١٠ / طه، وينظر: كتاب السبعة فى القراءات ٤١٧ .

(٤) من الآية ١٠/ الفتح، وينظر: كتاب السبعة فى القراءات ٦٠٣ .

(٥) من الآية ٦٣/ الكهف، وينظر: كتاب السبعة فى القراءات ٣٩٣، ٣٩٤ .

(٦) الدر المصون ١/ ٨٨، وينظر فى توجيه هذه القراءات حجة القراءات لأبى زرعة ٤٢٢، ٤٥٠، ٦٧٢، ٨٣، الكشف ٢/ ٦٦، ٩٥، ٢٨٠، ٢٨١ .

فى قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[١].

يقول السمين: "والرجز: العذاب، وفيه لغة أخرى وهى ضم الراء، وقرئ بهما[٢]، وقيل: المضموم اسم صنم، ومنه ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[٣] وذلك لأنه سبب العذاب، وقال الفراء: الرجز والرجس ــ بالزاى والسين ــ بمعنى كالسدغ والزدغ والصحيح أن الرجز: القذر وسيأتى بيانه، والرجز: داء يصيب الإبل فترتعش، ومنه بحر الرجز فى الشعر"[٤].

وهنا يذكر السمين أن للعرب لغتين فى (الرجز) ضم الراء وكسرها، وأنه قد قرئ بهما، إلا أنه لم يذكر أصحاب كل قراءة من القراء، وقد عزا البناء كل قراءة لأصحابها، وكذلك كل لغة فقال: "فحفص، وأبوجعفر ويعقوب بضم الراء لغة الحجاز، ووافقهم ابن محيصن والحسن، والباقون بكسرها لغة تميم"[٥].

وقد رد الطبرى على من فرق بين الرجز والرجز فقال: "والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، والضم والكسر فى ذلك لغتان بمعنى واحد، ولم نجد أحدا من متقدمى أهل التأويل فرق بين تأويل ذلك، وإنما فرق بين ذلك فيما بلغنا الكسائى"[٦].

---

(١) الآية ٥٩ / البقرة .
(٢) ينظر فى عزو القراءات لأصحابها: الكشف ٢/ ٣٤٧، حجة القراءات ٧٣٣، السبعة ٦٥٩، تفسير الطبرى ١٢/ ٣٢٥ ط دار الغد، الإتحاف ٢/ ٥٧١، البحر ٨/ ٣٧١ .
(٣) الآية ٥ / المدثر .
(٤) الدر المصون ١/ ٣٨٢ .
(٥) الإتحاف ٢/ ٥٧١ .
(٦) تفسير الطبرى ١٢/ ٣٢٥ .

٣ ـ ضم العين وكسرها من قوله تعالى: (فادع):

فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾[١].

يقول السمين: "قوله: ﴿فَٱدْعُ﴾ اللغة الفصيحة (ادع) بضم العين من دعا يدعو، ولغة بنى عامر: (فادع) بكسر العين، قال أبوالبقاء: لالتقاء الساكنين يجرون المعتل مجرى الصحيح ولا يراعون المحذوف، يعنى أن العين ساكنة لأجل الأمر، والدال قبلها ساكنة، فكسرت العين، وفيه نظر، لأن القاعدة فى هذا ونحوه أن يكسر الأول من الساكنين لا الثانى ، فيجوز أن يكون من لغتهم : دعى يدعى مثل رمى يرمى"[٢].

وهنا يذكر السمين لغتين فى الأمر من دعى: الأولى: ادع ونعتها باللغة الفصيحة، والثانية : ادع بكسر العين، ونقل عن أبىالبقاء تفسيرها[٣]، وهو أن أصحاب هذه اللغة يجرون المعتل مجرى الصحيح فى التخلص من التقاء الساكنين.

لكن السمين اعترض على تفسير أبىالبقاء لهذه اللغة بأنه لو كان الأمر كذلك لكسرت الدال، لأن القاعدة فى هذا ونحوه أن يكسر أول الساكنين لا الثانى، والذى يراه السمين فى تفسير هذه اللغة أن من كلامهم: دعى يدعى مثل: رمى يرمى.

---

(١) من الآية ٦١ / البقرة .

(٢) الدر المصون ١/ ٣٩١ .

(٣) عبارة أبى البقاء فى الإملاء ١/ ٤٢: "اللغة الجيدة ضم العين، والواو محذوفة علامة للبناء عند البصريين وللجزم عن الكوفيين، ومن العرب من يكسر العين، ووجهها أنه قدر العين ساكنة كأنها آخر الفعل ثم كسرها لسكونها وسكون الدال قبلها" واكتفى أبوحيان بذكر لغة بنى عامر ووجهها على أنهم "جعلوا دعا من ذوات الياء كرمى يرمى" ينظر: البحر ١/ ٢٣٢ .

٤ـ كسر القاف وضمها من قوله تعالى: (قثائها):

وفى قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾[١].

يقول السمين: "والقثاء معروف، الواحدة: قثاءة، فهو من باب قمح وقمحة، وفيها لغتان: المشهورة كسر القاف، وقرئ بضمها"[٢].

وهنا يذكر السمين أن فى قوله تعالى:﴿وَقِثَّآئِهَا ﴾ لغتين: المشهورة كسر القاف ، ولغة أخرى بضمها، لكنه لم يذكر أصحاب كل لغة، كما أهمل ذكر القراء.

وإن كان السمين أهمل ذلك فإن غيره ذكر ما أهمله، يقول ابن عادل: "وفيها لغتان: المشهورة كسر القاف وهى قراءة العامة، وقرأ يحيى بن وثاب[٣] وطلحة بن مصرف والأشهب العقيلى بضم القاف، وهى لغة تميم"[٤] واختلاف اللغات هنا لا يؤثر على المعنى.

٥ـ كسر النون وضمها من قوله تعالى: (فنصف):

فى قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾[٥].

يقول السمين: "والجمهور على كسر نون (نصف) وقرأ زيد، وعلى، ورواها الأصمعى قراءة عن أبى عمرو: ﴿فنصف﴾ بضم النون

---

(١) من الآية ٦١ / البقرة .
(٢) الدر المصون ١/ ٣٩٢، ٣٩٣ .
(٣) ينظر: مختصر فى شواذ القراءات لابن خالويه ١٣، وفى البحر ١/٢٣٣: "وقرأ يحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف وغيرهما: (وقثائها) بضم القاف" .
(٤) اللباب فى علوم الكتاب ٢/ ١١٦، وقد عزيت صيغة الضم إلى قبيلة أسد، ينظر: مقومات اللهجة د/ إبراهيم أبوسكين ٣٢ .
(٥) من الآية ٢٣٧ / البقرة .

هنا وفى جميع القرآن، وهما لغتان، وفيه لغة ثالثة: (نصيف) بزيادة ياء، ومنه الحديث: (ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)"[١].

وهنا يذكر السمين أن النصف والنصف لغتان، وبالضم قرأ أبوعمرو بن العلاء فى جميع القرآن، أما قراءة الجمهور فهى بكسر النون. وبهذا قال أبوحيان[٢]، لكن ابن خالويه عزا هذه القراءة ﴿فنصف﴾ إلى الإمام على كرم الله وجهه، وزيد بن ثابت فقط[٣].

---

(١) الدر المصون ٢/ ٤٩١، ٤٩٢ .
(٢) البحر ٢/ ٢٣٥ .
(٣) مختصر فى شواذ القراءات ٢٢ .

المبحث الرابع
ما جاء فيه ثلاثة أوجه

١ـ قيل : بكسر الأول وضمه والإشمام:

فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[١].

يقول السمين: "وقوله تعالى: ﴿قِيلَ﴾ فعل ماض مبنى للمفعول، وأصله: (قول) كضرب، فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى القاف بعد سلب حركتها، فسكنت الواو بعد كسرة فقلبت ياء ، وهذه أفصح اللغات، وفيه لغة ثانية وهى الإشمام، والإشمام عبارة عن جعل الضمة بين الضم والكسر، ولغة ثالثة وهى إخلاص الضم نحو: قول، وبوع، قال الشاعر:

ليت وهل ينفع شيئا ليت ∴ ليت شبابا بوع فاشتريت

وقال آخر:

حوكت على نيرين إذ تحاك ∴ تختبط الشوك ولا تشاك

وقال الأخفش: ويجوز (قيل) بضم القاف والياء، يعنى مع الياء لا أن الياء تضم أيضا، وتجئ هذه اللغات الثلاث فى اختار، وانقاد، ورد، وحب، ونحوها فتقول: اختير بالكسر، والإشمام، واختور، وكذلك انقيد وانقود، ورد ورد ، وأنشدوا:

وما حل من جهل حبا حلمائنا ∴ ولا قائل المعروف فينا يعنف

بكسر حاء (حل) وقرئ: ﴿ولوردوا﴾ [٢] بكسر الراء. والقاعدة فيما لم يسم فاعله: أن يضم أول الفعل مطلقا، فإن كان ماضيا كسر ما قبل آخره لفظا نحو ضرب، أو تقديرا نحو: قيل واختير، وإن كان مضارعا فتح لفظا نحو: يضرب أو تقديرا نحو: يقال ويختار، وقد

---

(١) الآية ١١ / البقرة .

(٢) الآية ٢٨ / الأنعام وهى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ وفى البحر المحيط ٤/ ١٠٤ "وقرأ إبراهيم ويحيى بن وثاب والأعمش: (ولو ردوا) بكسر الراء على نقل حركة الدال من (ردد) إلى الراء".

يضم ثانى الماضى أيضا إذا افتتح بتاء مطاوعة نحو: تدحرج الحجر، وثالثه إن افتتح بهمزة وصل نحو: انطلق بزيد ٠

واعلم أن شرط جواز اللغات الثلاث فى (قيل وغيض) ونحوهما ألا يلبس ، فإن ألبس عمل بمقتضى عدم اللبس، هكذا قال بعضهم، وإن كان سيبويه قد أطلق جواز ذلك، وأشم الكسائى: ﴿قيل[١]، وغيض[٢]، وجىء[٣]، وحيل بينهم[٤]، وسيق الذين[٥]، وسيىء بهم[٦]، وسيئت وجوه[٧]﴾ ووافقه هشام فى الجميع، وابن ذكوان فى (حيل) وما بعدها، ونافع فى ﴿سيىء﴾ و﴿سيئت﴾ والباقون بإخلاص الكسر فى الجميع، والإشمام له معان أربعة فى اصطلاح القراء سيأتى ذلك فى (يوسف) إن شاء الله تعالى عند ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾[٨] فإنه أليق به"[٩]٠

---

(١) من الآية ١١ / البقرة: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾٠

(٢) من الآية ٤٤ / هود عليه السلام: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾٠

(٣) من الآية ٦٩ / الزمر: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾٠

(٤) من الآية ٥٤/ سبأ : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ ٠

(٥) من الآية ٧٣/ الزمر: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾٠

(٦) من الآية ٧٧ / هود عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾٠

(٧) من الآية ٢٧/ الملك: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴾٠

(٨) من الآية ١١ / يوسف عليه السلام ٠

(٩) الدر المصون ١/ ١٣٤، ١٣٥ ٠

وبالرجوع إلى ما قاله السمين لتوضيح الإشمام وجدته يقول فى قوله تعالى:﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ ١١/يوسف عليه السلام: "﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ حال وتقدم نظيره. وقرأ العامة: ﴿تأمنا﴾ بالإخفاء وهو عبارة عن تضعيف الصوت بالحركة والفصل بين النونين ، لا أن تسكن رأسا، فيكون ذلك إخفاء لا إدغاما، قال الدانى: وهو قول عامة أئمتنا وهو الصواب لتأكيد دلالته وصحته فى القياس.

وقرأ بعضهم ذلك بالإشمام وهو عبارة عن: ضم الشفتين إشارة إلى حركة الفعل مع الإدغام الصريح كما يشير إليها الواقف، وفيه عسر كبير، قالوا: وتكون الإشارة إلى الضمة بعد الإدغام أو قبل كماله، والإشمام يقع بإزاء معان هذا من جملتها، ومنها إشراب الكسرة شيئا من الضم نحو: (قيل) و(غيض) وبابه، وقد تقدم أول البقرة، ومنها إشمام أحد حرفين شيئا من الآخر كإشمام الصاد زايا فى (الصراط)، (ومن أصدق) وبابهما، وقد تقدم ذلك أيضا فى الفاتحة والنساء فهذا خلط حرف بحرف، كما أن ما قبله خلط حركة بحركة، ومنها الإشارة إلى الضمة فى الوقف خاصة، وإنما يراه البصير دون الأعمى.

وقرأ أبوجعفر بالإدغام الصريح من غير إشمام، وقرأ الحسن ذلك بالإظهار مبالغة فى بيان إعراب الفعل وللمحافظة على حركة الإعراب. اتفق الجمهور على الإخفاء أو الإشمام كما تقدم تحقيقه.

وقرأ ابن هرمز: ﴿لا تأمنا﴾ بضم الميم ، نقل حركة النون الأولى عند إرادة إدغامها بعد سلب الميم حركتها، وخط المصحف بنون واحدة، ففى قراءة الحسن مخالفة لها"[1].

وفى هذا الموضع يذكر السمين ثلاثة أوجه فى فاء الفعل الثلاثى المعتل العين عند بنائه للمجهول: الأول: إخلاص كسر فائه

---

(١) الدر المصون ١/ ٤٤٧، ٤٤٨ .

وسكون عينه ياء، والثانى: إشمام الفاء رائحة الضم، والثالث: إخلاص ضم فائه وسكون عينه واوا. وقد استشهد السمين على هذه الأوجه، كما بين معنى الإشمام، كما ذكر السمين أيضا أن هذه اللغات الثلاث تجئ فى المضعف.

ويوضح أبوالفتح هذه الأوجه الثلاثة فى المعتل العين وفى المضعف فيقول: "ومن ذلك قراءة علقمة ويحيى:﴿ردت إلينا﴾ [١] بكسر الراء، قال أبوالفتح: فعل من ذوات الثلاثة إذا كان مضعفا أو معتلا عينه يجئ عنهم على ثلاثة أضرب: لغة فاشية ، والأخرى تليها، والثالثة قليلة، إلا أن المضعف مخالف للمعتل العين فيما أذكره.

أما المضعف فأكثره عنهم ضم أوله كشد، ورد، ثم يليه الإشمام وهو شد، ورد بين ضم الأول وكسره، إلا أن الكسرة هنا داخلة على الضمة، لأن الأفشى فى اللغة الضم، والثالث: ــ وهو أقلها ــ شد، ورد، وحل، وبل، بإخلاص الكسرة. فهذا المضعف[٢].

وأما المعتل العين: فأقوى اللغات فيه كسر أوله، نحو: قيل، وبيع، وسير به، ثم يليه الإشمام، وهو أن تدخل الضمة على الكسرة، لأن الكسر هنا هو الأفشى، فتقول: قيل، وبيع، وغيض، والثالث: وهو أقلها أن تخلص الضمة فى الأول كما أخلصت الكسرة فيه مع التضعيف، نحو: رد، وحل، فتصح الواو من بعدها فتقول قول وبوع"[٣].

---

(١) من الآية ٦٥ / يوسف عليه السلام .
(٢) المحتسب ١/ ٣٤٥، ٣٤٦، وينظر فى عزو القراءات لأصحابها: حجة القراءات ٨٩، ٩٠، السبعة فى القراءات ١٤٣، ١٤٤، الكشف ١/٢٢٩ ــ ٢٣٢، البحر ١/ ٦٠، ٦١، الإتحاف ١/ ٣٧٨، ٣٧٩، واللباب ١/ ٣٤٧، ٣٤٨ .
(٣) المحتسب ١/ ٣٤٥، ٣٤٦ .

٢ـ غشاوة، بكسر الغين وفتحها وضمها:

فى قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[١].

يقول السمين: "وقرئ ﴿غشاوة﴾ بفتح الغين وضمها، و﴿عشاوة﴾ بالمهملة، وأصوب القراءات المشهورة، لأن الأشياء التى تدل على الاشتمال تجئ أبدا على هذه الزنة كالعمامة والضمامة والعصابة"[٢].

وفى هذا الموضع يذكر السمين ثلاث قراءات فى حركة الغين من قوله ﴿غشاوة﴾ ، ثم ذكر قراءة رابعة وهى ﴿عشاوة﴾ بالعين المهملة دون أن يوضح أصحاب كل قراءة ، لكن غيره من العلماء قد عزا كل قراءة لأصحابها[٣] ونص على أصحاب كل لغة من العرب، يقول أبوحيان: "وقرأ الجمهور: ﴿غشاوة﴾ بكسر الغين، وعبدالله والأعمش بفتحها وهى لغة ربيعة، والحسن وعكرمة وعبدالله أيضا بضمها وهى لغة عكلية"[٤].

وبتتبعى للسمين فى هذه اللفظة القرآنية وجدته فى موضع آخر قد نص على أصحاب كل قراءة، وعزا لغتين منها إلى أصحابها، ففى قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾[٥].

---

(١) من الآية ٧/ البقرة .
(٢) الدر المصون ١/ ١١٣ .
(٣) الإتحاف ١/ ٣٧٧ : "وعن الحسن (عشاوة) بعين مهملة مضمومة، وعنه أيضا الضم والفتح مع المعجمة، والجمهور بالغين المعجمة المكسورة".
وفى مختصر شواذ القراءات ١٠: "غشاوة بالنصب المفضل عن عاصم، غشاوة عن الحسن، غشاوة عن الحسن أيضا، عشاوة بالعين غير معجمة طاووس وينظر: البحر ١/ ٤٩، السبعة ١٤٠، ١٤١، وتفسير الطبرى ١١/ ٢٨٣ .
(٤) البحر ٨/ ٤٩ .
(٥) من الآية ٢٣ / الجاثية .

يقول السمين: "قوله: ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ قرأ الأخوان: ﴿غشوة﴾ بفتح الغين وسكون الشين، والأعمش وابن مصرف كذلك إلا أنهما كسرا الغين، وباقى السبعة: ﴿غشاوة﴾ بكسر الغين، وابن مسعود والأعمش أيضا بفتحها، وهى لغة ربيعة، والحسن وعكرمة وعبدالله أيضا بضمها، وهى لغة عكلية"(١).

وقد ذكر السمين أيضا أن القراءة المشهورة هى: (غشاوة) على فعالة، وهى أصوب القراءات المذكورة فى هذه اللفظة القرآنية الكريمة، لأن الأشياء التى تدل على الاشتمال تجئ أبدا على هذه الزنة كالعمامة والضمامة والعصابة.

وذكر ابن منظور أيضا أن القراءة المختارة هى بكسر الغين على زنة فعالة فقال: "وقرئ: ﴿غشوة﴾ كأنه رد إلى الأصل، لأن المصادر كلها ترد إلى (فعلة) والقراءة المختارة الغشاوة، وكل ما كان مشتملا على الشئ فهو مبنى على (فعالة) نحو الغشاوة والعمامة والعصابة، وكذلك أسماء الصناعات لاشتمال الصناعات على كل ما فيها نحو: الخياطة والقصارة"(٢).

٣ـ الضم والكسر والفتح فى الواو من قوله تعالى: (اشتروا الضلالة):

وفى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾(٣).

يقول السمين: "والمشهور ضم واو (اشتروا) لالتقاء الساكنين، وإنما ضمت تشبيها بتاء الفاعل، وقيل: للفرق بين واو الجمع والواو الأصلية نحو: (لو استطعنا)، وقيل: لأن الضمة هنا أخف من الكسرة لأنها من جنس الواو، وقيل حركت بحركة اليـاء المحذوفة، فإن

---

(١) الدر المصون ٩/ ٦٥٣ .
(٢) لسان العرب ٥/ ٣٢٦١ .
(٣) من الآية ١٦ / البقرة .

الأصل: (اشتريوا) كما سيأتى، وقيل: هى للجمع فهى مثل: نحن، وقرئ بكسرها على أصل التقاء الساكنين، وبفتحها لأنه أخف.

وأجاز الكسائى همزها تشبيها لها بأدؤر وأثؤب، وهو ضعيف، لأن ضمها غير لازم، وقال أبوالبقاء: ومنهم من يختلسها فيحذفها لالتقاء الساكنين وهو ضعيف جدا، لأن قبلها فتحة والفتحة لا تدل عليها.

وأصل (اشتروا): اشتريوا، فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين وبقيت الفتحة دالة عليها، وقيل: بل حذفت الضمة من الياء فسكنت، فالتقى ساكنان، فحذفت الياء لالتقائهما، فإن قيل: فواو الجمع قد حركت فينبغى أن يعود الساكن المحذوف ، فالجواب: أن هذه الحركة عارضة فهو فى حكم الساكن، ولم يجئ ذلك إلا فى ضرورة شعر، أنشد الكسائى:

يا صباح لم تنام العشيا ∴ ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا

فأعاد الألف لما حركت الميم حركة عارضة"[١].

وفى هذا الموضع يعرض السمين للقراءات فى الواو من قوله تعالى: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ وتوجيه كل قراءة، إلا أنه أهمل عزو القراءات لأصحابها، وهذا إيجاز لما ذكره.

١ - القراءة المشهورة ضم الواو، لالتقاء الساكنين، وتشبيها بتاء الفاعل، وقيل: للفرق بين واو الجمع والواو الأصلية فى نحو: ﴿لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا﴾ وأيضا: لأن الضمة هنا أخف من الكسرة لأنها من جنس الواو، وقيل حركت بحركة الياء المحذوفة فإن الأصل (اشتريوا).

٢ - القراءة الثانية بكسر الواو على أصل التقاء الساكنين.

٣ - القراءة الثالثة بفتح الواو لأن الفتح أخف من غيره.

ويوضح أبوالفتح القراءات فى هذه اللفظة الكريمة فيقول: "ومن ذلك قراءة يحيى بن يعمر، وابن أبى إسحاق، وأبى السمال: ﴿اشتروا الضلالة﴾ قال أبوالفتح: فى هذه اللفظة ثلاث لغات : الضم، والكسر، وحكى أبوالحسن فيها الفتح: ﴿اشتروا الضلالة﴾ ورويناه أيضا عن قطرب، والحركة فى جميعها لسكون الواو وما بعدها ، والضم أفشى، ثم الكسر، ثم الفتح، وإنما كان الضم أقوى لأنها واو جمع ، فأرادوا الفرق بينها وبين واو (أو) و(لو) لأن تلك مكسورة، نحو قول الله سبحانه: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [٢] ومنهم من يضمها فيقول: ﴿لواطلعت﴾ كما كسر أبوالسمال وغيره من العرب واو الجمع تشبيها لها بواو (لو).

---

(١) الدر المصون ١/ ١٥١، ١٥٢ .
(٢) من الآية ١٨ / الكهف .

وأما الفتح فأقلها، والعذر فيه خفة الفتحة مع ثقل الواو ، وأيضا فإن الغرض فى ذلك إنما هو التبليغ بالحركة لاضطرار الساكنين إليها، فإذا وقعت من أى أجناسها كانت، أقنعت فى ذلك، كما روينا عن قطرب عن قراءة بعضهم: ﴿قم الليل﴾ (١) بالفتح ﴿ وقل الحق من ربكم﴾ (٢) وبع الثوب، قال: وقيس تقول: ﴿اشتروا الضلالة﴾ قال: وقال بعض العرب: عصئوا الله مهموزة"(٣).

٤- **فتح الراء وضمها وكسرها من قوله تعالى: (بربوة):**

فى قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾(٤).

يقول السمين: "وقرأ ابن عامر، وعاصم: ﴿ربوة﴾ بالفتح والباقون بالضم، قال الأخفش: ونختار الضم لأنه لا يكاد يسمع فى الجمع إلا الربا، يعنى فدل ذلك على أن المفرد مضموم الفاء، نحو: برمة وبرم، وصورة وصور، وقرأ ابن عباس: ﴿ربوة﴾ بالكسر"(٥).

وفى هذا الموضع يذكر السمين أنه قد قرئ ﴿ربوة﴾ بفتح الراء وضمها وكسرها، ثم نقل عن الأخفش أن اختياره الضم وحجته أنه لا يكاد يسمع فى الجمع إلا (الربا) بالضم وهذا يعنى أن المفرد مضموم الفاء مثل برمة وبرم، وصورة وصور.

---

(١) من الآية ٢ / المزمل .
(٢) من الآية ٢٩ / الكهف .
(٣) المحتسب ١/ ٥٤، ٥٥، وينظر: البحر ١/ ٧١ "وقرأ الجمهور: (اشتروا الضلالة) بضم الواو".
(٤) من الآية ٢٦٥ / البقرة .
(٥) الدر المصون ٢/ ٥٩٢ .

وإذا كان الأخفش قد اختار قراءة الضم ورجحها على غيرها فإن الطبرى قد أجاز قراءتى الفتح والضم، وهو للضم أشد إيثارا، كما أنه رد قراءة ابن عباس رضى الله عنهما: ﴿ربوة﴾ بكسر الراء وحجته فى ذلك أن الناس فى أمصارهم لا يقرءون إلا بإحدى اللغتين إما فتح الراء وإما بضمها، وهذه عبارته فى تفسيره:

"الربوة من الأرض ما نشز منها فارتفع عن السيل، وإنما وصفها بذلك جل ثناؤه، لأن ما ارتفع عن المسايل والأودية أغلظ، وجنان ما غلظ من الأرض أحسن وأزكى ثمرا وغرسا وزرعا مما رق منها، ولذلك قال أعشى بنى ثعلبة فى وصف روضة:

ما روضة من رياض الحزن معشبة ∴ خضراء جاد عليها مسبل هطل

فوصفها بأنها من رياض الحزن، لأن الحزون غروسها ونباتها أحسن وأقوى من غروس الأودية والتلاع وزروعها.

وفى (الربوة) لغات ثلاث، وقد قرأ بكل لغة منهن جماعة من القرأة ، وهى ﴿ربوة﴾ بضم الراء وبها قرأت عامة قرأة أهل المدينة والحجاز والعراق. و﴿ربوة﴾ بفتح الراء وبها قرأ بعض أهل الشام وبعض أهل الكوفة، ويقال إنها لغة لتميم، و﴿ربوة﴾ بكسر الراء وبها قرأ ــ فيما ذكر ــ ابن عباس ــ.

قال أبوجعفر: وغير جائز عندى أن يقرأ ذلك إلا بإحدى اللغتين: إما بفتح الراء، وإما بضمها، لأن قراءة الناس فى أمصارهم بإحداهما، وأنا لقراءتها بضمها أشد إيثارا منى بفتحها، لأنها أشهر اللغتين فى العرب، فأما الكسر فإن فى رفض القراءة به دلالة واضحة على أن القراءة به غير جائزة"[١].

٥ ـ ضم الطاء وسكونها وفتحها من قوله تعالى: (خطوات):

وفى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾[٢].

يقول السمين: "قوله: ﴿خطوات﴾ قرأ ابن عامر وقنبل وحفص: ﴿خطوات﴾ بضم الخاء والطاء، وباقى السبعة: بسكون الطاء، وقرأ أبوالسمال: ﴿خطوات﴾ بفتحها، ونقل ابن عطية وغيره عنه أنه قرأ:

---

(١) تفسير الطبرى ٢/ ١٠٢، ١٠٣، وينظر: البحر ٢/ ٣١٢ فى عزو القراءات لأصحابها واللباب فى علوم الكتاب لابن عادل ٤/ ٣٩٩، والإتحاف ١/ ٤٥٢، وفى حجة القراءات ١٤٦: "قرأ ابن عامر وعاصم: (بربوة) بفتح الراء وهى لغة بنى تميم، وقرأ الباقون: (بربوة) بضم الراء، وهى لغة قريش".

(٢) الآية ١٦٨ / البقرة .

﴿خطوات﴾ بفتح الخاء والطاء، وقرأ على وقتادة والأعمش بضمها والهمز.

فأما قراءة الجمهور والأولى من قراءتى أبى السمال فلأن (فعلة) الساكنة العين السالمتها إذا كانت اسما جاز فى جمعها بالألف والتاء ثلاثة أوجه ــ وهى لغات مسموعة عن العرب ــ السكون وهو الأصل، والإتباع، والفتح فى العين تخفيفا، وأما قراءة أبى السمال التى نقلها ابن عطية فهى جمع خطوة بفتح الخاء، والفرق بين الخطوة بالضم والفتح: أن المفتوح مصدر، دالة على المرة من خطا يخطو إذا مشى، والمضموم اسم لما بين القدمين كأنه اسم المسافة، كالغرفة اسم للشئ المغترف، وقيل إنهما لغتان بمعنى واحد ذكره أبوالبقاء.

وأما قراءة على ففيها تأويلان، أحدهما: ــ وبه قال الأخفش ــ أن الهمزة أصل وأنه من الخطأ، و(خطؤات) جمع (خطأة) إن سمع، وإلا فتقديرا، وتفسير مجاهد إياه بالخطايا يؤيد هذا، ولكن يحتمل أن يكون مجاهد فسره بالمرادف، والثانى: أنه قلب الهمزة عن الواو لأنها جاورت الضمة قبلها فكأنها عليها، لأن حركة الحرف بين يديه على الصحيح لا عليه"[1].

وفى هذا الموضع يذكر السمين القراءات فى (خطوات):

الأولى: ﴿خطوات﴾ بضم الخاء والطاء وبها قرأ ابن عامر، وقنبل، وحفص، الثانية: ﴿خطوات﴾ بسكون الطاء، وبها قرأ باقى السبعة، الثالثة: ﴿خطوات﴾ بفتح الطاء ويوجه السمين هذه القراءات الثلاث بأن (فعلة) الساكنة العين السالمتها إذا كانت اسما جاز فى جمعها بالألف والتاء ثلاثة أوجه وهى لغات مسموعة عن العرب: السكون وهو الأصل، والإتباع ، وفتح العين تخفيفا.

---

(١) الدر المصون ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤ .

وبهذا التوجيه قال العلماء[١].

٦ ـ ضم الراء، وسكونها وفتحها من قوله تعالى (والحرمات):

فى قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾[٢].

يقول السمين: "وقرئ: ﴿والحرمات﴾ بسكون الراء، ويعزى للحسن، وقد تقدم أن جمع (فعلة) بشروطها يجوز فيه ثلاثة أوجه: هذان الاثنان وفتح العين"[٣].

ويفهم من كلام السمين أن قراءة الحسن[٤] ﴿والحرمات﴾ بضم الحاء وسكون الراء، وتوجيه هذه القراءة على نحو ما ذكر فى الموضع السابق أن (فعلة) الساكنة العين السالمتها عند جمعها بالألف والتاء يجوز فى عين الجمع ثلاثة أوجه، وهى لغات مسموعة عن العرب: السكون وهو الأصل، والضم للإتباع، والفتح فى العين تخفيفا، وهذا كله إذا كانت (فعلة) اسما .

---

(١) ينظر: الكشف ١/ ٢٧٣، ٢٧٤، الإتحاف ١/ ٤٢٦، السبعة ١٧٤، البحر ١/ ٤٧٩، إملاء ما من به الرحمن ١/ ٧٥، شواذ القراءات ١٨، اللباب ٣/ ١٥٢، ١٥٣ .

(٢) من الآية ١٩٤ / البقرة .

(٣) الدر المصون ٢/ ٣٠٩ .

(٤) مختصر شواذ القراءات ١٩، والبحر ٢/ ٦٩ .

الفصل الثانى
التعاقب بين الصوائت والسكون
المبحث الأول
التعاقب بين الفتح والسكون

١ـ (مرض) ، بفتح الراء وسكونها:

فى قولـــه تعـــالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[١].

يقول السمين: "والمشهور تحريك الـــراء مـــن ﴿مرض﴾ وروى الأصمعى عن أبىعمرو سكونها، وهما لغتان فـــى مصـــدر مـــرض يمرض، والمرض: الفتور، وقيل الفســـاد، ويطلـــق علـــى الظلمـــة، وأنشدوا:

فى ليلة مرضت فى كل ناحية ∴ فمـــا يحـــس بهـــا نجـــم ولا قمـــر

أى لظلمتها، ويجوز أن يكون أراد بمرضت : فسدت، ثم بـــين جهة الفساد بالظلمة"[١].

فى هذا الموضع يذكر السمين أن فتح الراء وسكونها لغتان فى مصدر مرض يمرض، وبالسكون قرأ أبوعمرو بن العلاء، فى رواية الأصمعى عنه [٢].

ويرى ابن جنى أن فتح الراء وسكونها فـــى ﴿مرض﴾ لغتـــان، وليس السكون تخفيفا للمفتوح لأن المفتـــوح لا يخفـــف، فيقـــول "لا يجوز أن يكون ﴿مرض﴾ مخففا من ﴿مرض﴾ لأن المفتوح لا يخفـــف، وإنما ذلك فى المكسور والمضموم كإبل وفخذ، وطنب وعضد، ومـــا جاء عنهم فى ذلك فى المفتوح فشاذ لا يقاس عليه .... وينبغـــى أن

---

(١) الآية ١٠ / البقرة .

يكون ﴿مرض﴾ هذا الساكن لغة فى ﴿مرض﴾ المتحرك، كالحلب والحلب، والطرد والطرد، والشل والشلل والعيب والعاب، والذيم والذام"[٣].

ويرى ابن جنى أن الفتح والسكون يجريان مجرى واحدا فى عدة أماكن:

"منها أن كل واحد منها قد يفزع ويستروح إليه من الضمة والكسرة، ألا تراهم قالوا فى غرفات: تارة غرفات بالفتح وأخرى غرفات بالسكون، كما قالوا فى سدرات تارة سدرات بالفتح، وأخرى: سدرات بالسكون"[٤].

٢ ـ فتح الغين وسكونها فى قوله تعالى: (رغدا):

فى قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾[٥].

يقول السمين : "قرئ: ﴿رغدا﴾ بسكون الغين وهى لغة تميم، وقال بعضهم: كل فعل حلقى العين صحيح اللام يجوز فتح عينه وتسكينها نحو: نهر وبحر، وهذا فيه نظر بل المنقول: أن فعلا بسكون العين إذا كانت عينه حلقية لا يجوز فتحها عند البصريين إلا أن يسمع فيقتصر عليه، ويكون ذلك على لغتين لأن إحداهما مأخوذة من الأخرى، وأما الكوفيون فبعض هذا عندهم ذو لغتين وبعضه أصله السكون، ويجوز فتحه قياسا، أما فعلا المفتوح العين الحلقيها يجوز فيه التسكين، فيجوز فى السحر: السحر، فهذا لا يجيزه أحد، والرغد: الواسع الهنئ"[٦].

---

(١) الدر المصون ١/ ١٢٩ .
(٢) ينظر: مختصر فى شواذ القراءات ١٠، المحتسب ١/ ٥٣، البحر ٥٨/١، اللباب ١/ ٣٤١، لسان العرب (مرض) ٦/ ٤١٨١ .
(٣) المحتسب ١/ ٥٣، ٥٤ .
(٤) نفسه ١/ ٥٤ .
(٥) من الآية ٣٥ / البقرة .
(٦) الدر المصون ١/ ٢٨١ .

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن ﴿رغدا﴾ بسكون الغين هى لغة تميم، ولم يوضح من القارئ بها، وقد ذكره أبوحيان فقال: "والجمهور على فتح الغين، وقرأ إبراهيم النخعى ويحيى بن وثاب بسكونها ، وقد تقدم أنهما لغتان"(١).

٣ ـ فتح الهاء وسكونها من قوله تعالى: (بنهر):

فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾(٢).

يقول السمين: "والجمهور على قراءة: ﴿بنهر﴾ بفتح الهاء وهى اللغة الفصيحة، وفيه لغة أخرى: تسكين الهاء، وبها قرأ مجاهد وأبوالسمال فى جميع القرآن، وقد تقدم ذلك واشتقاق هذه اللفظة عند قوله تعالى: ﴿مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾(٣)"(٤).

وبالرجوع إلى آية سورة البقرة رقم ٢٥ وهى قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول السمين: "والأنهار جمع (نهر) بالفتح، وهى اللغة العالية، وفيه تسكين الهاء ، ولكن (أفعال) لا ينقاس فى (فعل) الساكن العين بل يحفظ نحو: أفراخ، وأزناد، وأفراد"(٥).

فى هذا الموضع يذكر السمين أن قراءة الجمهور فتح الهاء من قوله تعالى: ﴿بنهر﴾ وهى اللغة الفصيحة، وفى موضع آخر يقول:

---

(١) البحر ١/ ١٥٧، وينظر: اللباب ١/ ٥٥٢ .
(٢) من الآية ٢٤٩ / البقرة .
(٣) من الآية ٢٥ / البقرة .
(٤) الدر المصون ٢/ ٥٢٦ .
(٥) الدر المصون ١/ ٣١٢ .

وهى اللغة العالية، أما تسكين الهاء فهى قراءة مجاهد وأبىالسمال فى جميع القرآن، وهى لغة أيضا كما ذكر العلماء[١].

٤ـ فتح الدال وسكونها من قوله تعالى: (قدره):

فى قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾[٢].

يقول السمين: "وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان وحفص: ﴿قدره﴾ بفتح الدال فى الموضعين، والباقون بسكونها. واختلفوا: هل هما بمعنى واحد أو مختلفان؟ فذهب أبوزيد والأخفش وأكبر[٣] أئمة العربية إلى أنهما بمعنى واحد ، حكى أبوزيد: خذ قدر كذا وقدر كذا بمعنى واحد، قال: ويقرأ فى كتاب الله: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ و﴿قدرها﴾ [٤] وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[٥]، ولو حركت الدال لكان جائزا، وذهب جماعة إلى أنهما مختلفان، فالساكن مصدر والمتحرك اسم كالعد والعدد والمد والمدد، وكأن القدر بالتسكين: الوسع، يقال: هو ينفق على قدره، أى وسعه، وقيل بالتسكين: الطاقة، وبالتحريك: المقدار، قال أبوجعفر: وأكثر ما يستعمل بالتحريك إذا كان مساويا للشئ، يقال: هذا على قدر هذا"[٦].

---

(١) ينظر: البحر ١/ ١٠٩، واللباب ٤/ ٢٧٩، وفى لسان العرب (نهر) ٦/ ٤٥٥٦ عن أحمد بن يحيى : "ونصب العين أفصح" ونسب ابن خالويه قراءة السكون إلى حميد: مختصر فى شواذ القراءات ٢٢ .

(٢) الآية ٢٣٦ / البقرة .

(٣) لعله يقصد إمام العربية سيبويه ،والصواب أن يقال: وأكابر أئمة العربية.

(٤) الآية ١٧ / الرعد .

(٥) من الآية ٩١ / الأنعام .

(٦) الدر المصون ٢/ ٤٨٨، ٤٩٨ .

وفى هذا الموضع يوضح السمين أنه قد قرئ: ﴿قدره﴾ بفتح الدال وسكونها[١] وهما عند أكابر الأئمة بمعنى واحد، ومن العلماء من فرق بينهما، فالساكن مصدر، والمتحرك اسم كالعد والعدد، والمد والمدد، وقيل: (القدر) بالتسكين: الطاقة، وبالتحريك : المقدار ٠

وذهب الطبرى إلى أنهما لغتان بمعنى واحد،فيقول: "والقول فى ذلك عندى أنهما جميعا قراءتان قد جاءتا بهما الأمة،ولا تحيل القراءة بإحداهما معنى فى الأخرى،بل هما متفقتا المعنى،فبأى القراءتين قرأ القارئ ذلك، فهو للصواب مصيب، وإنما يجوز اختيار بعض القراءات على بعض لبينونة المختارة على غيرها بزيادة معنى أوجبت لها الصحة دون غيرها، وأما إذا كانت المعانى فى جميعها متفقة فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولى أن يكون مقرءوا به من غيره"[٢] ٠

٥ ـ فتح الفاء وسكونها من قوله تعالى: (صفوان):

فى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ ﴾[٣] ٠

يقول السمين: "والصفوان: حجر كبير أملس، وفيه لغتان: أشهرهما سكون الفاء، والثانية: فتحها وبها قرأ ابن المسيب والزهرى، وهى شاذة، لأن (فعلان) إنما يكون فى المصادر نحو: النزوان والغليان، والصفات نحو: رجل طغيان، وتيس عدوان، وأما فى الأسماء فقليل جدا ٠

واختلف فى (صفوان) فقيل: هو جمع مفرده: صفا، قال أبوالبقاء: وجمع فعل على فعلان قليل، وقيل: هو اسم جنس، قال

---

(١) ينظر فى عزو القراءات لأصحابها:الكشف١/٢٩٨، ٢٩٩،الإتحاف ١/ ٤٤١، ٤٤٢، السبعة ١٨٤، حجة القراءات ١٣٧، البحر ٢/٢٣٣، ٢٣٤، اللباب ٤/٢١١، ٢١٢، تفسير الطبرى ٢/٧٨٣ ٠

(٢) تفسير الطبرى ٢/ ٧٨٣ ٠

(٣) من الآية ٢٦٤ / البقرة ٠

أبوالبقاء: وهو الأجود، ولذلك عاد الضمير عليه مفردا فى قوله (عليه) وقيل: هو مفرد، واحد صفى قاله الكسائى، وأنكره المبرد، قال: لأن صفيا جمع صفا. نحو: عصى جمع عصا، وقفى فى قفا، ونقل عن الكسائى أيضا أنه قال: صفوان مفرد ويجمع على صفوان بالكسر، قال النحاس: يجوز أن يكون المكسور الصاد واحدا أيضا. وما قاله الكسائى غير صحيح بل صفوان ــ يعنى بالكسر ــ جمع لصفا كورل[١] وورلان، وأخ وإخوان، وكرى[٢] وكروان"[٣].

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن الصفوان حجر كبير أملس، وفيه لغتان: أشهرهما سكون الفاء، والثانية بفتحها وهى شاذة لأن (فعلان) إنما يكون فى المصادر نحو: النزوان والغليان، ويكون أيضا فى الصفات نحو: رجل طغيان، وتيس عدوان، وأما فى الأسماء فقليل جدا[٤].

٦ ـ فتح الراء وسكونها من قوله تعالى: (ألم تر):

فى قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾[٥].

يقول السمين: "وقرأ السلمى: ﴿ترْ﴾ بسكون الراء، وفيها وجهان، أحدهما: أنه توهم أن الراء لام الكلمة فسكنها للجزم. كقوله:

قالت سليمى اشتر لنا سويقا ∴ واشتر فعجل خادما لبيقا

وقيل: هى لغة قوم، لم يكتفوا فى الجزم بحذف حرف العلة، والثانى: أنه أجرى الوصل مجرى الوقف، وهذا أولى فإنه كثير فى

---

(١) فى اللسان (ورل) ٦/ ٤٨٢٠ : "الورل: دابة على خلقة الضب إلا أنه أعظم منه يكون فى الرمال والصحارى" .

(٢) الكرى : هو طائر صغير، وهو الكروان. لسان العرب (كرا) ٣٨٦٧/٥ .

(٣) الدر المصون ٢/ ٥٨٦ ، ٥٨٧ .

(٤) ينظر: البحر ٢/ ٣٠٩، اللباب ٤/ ٣٨٨ .

(٥) من الآية ٢٤٣ / البقرة .

القـــرآن نحـــو: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾[١]، و﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾[٢] و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾[٣] و﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾[٤] و﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[٥] وقولـــــــــــه: ﴿وَنُصْلِهِۦ﴾[٦] و﴿نُؤْتِهِۦ﴾[٧] و﴿يُؤَدِّهِۦٓ﴾[٨] وسيأتى ذلك"[٩].

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن السلمى[١٠]قرأ﴿ألم تر﴾ بسكون الراء،وفىتفسيرها وجهان:الأول:أنه توهم أن الراء لام الكلمة فسكنها للجزم، ومنه قول الشاعر: قالت سليمى اشتر،وهى لغة قوم لم يكتفوا فى الجزم بحذف حرف العلة.الوجه الثانى:أنه أجرى الوصل مجـــرى الوقف، وهذا الوجه أولى من سابقه لأنه كثير فى القرآن الكريم.

٧ـ فتح الواو، وسكونها من قوله تعالى: (أو يعفو الذى):

فى قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾[١١].

يقول السمين: "قوله: ﴿أويعفوالذى﴾ "و" هنا فيها وجهـــان: أحدهما: هى للتنويع، والثانى: أنها للتخيير، والمشهور فـــتح الـــواو عطفا على المنصوب قبله، وقرأ الحسن بسكونها استثقل الفتحة على الواو فقدرها كما يقدرها فى الألف، وسائر العرب على اســـتخفافها، ولا يجوز تقديرها إلا فى ضرورة كقوله ــ هو عامر بن الطفيل ــ:

---

(١) من الآية ١٠/ الأحزاب .
(٢) من الآية ٦٦ / الأحزاب .
(٣) من الآية ٦٧ / الأحزاب .
(٤) من الآية ٢٥٩ / البقرة .
(٥) من الآية ٩٠ / الأنعام .
(٦) من الآية ١١٥ / النساء.
(٧) من الآية ١٤٥ / آل عمران .
(٨) من الآية ٧٥ / آل عمران .
(٩) الدر المصون ٢/ ٥٠٥، ٥٠٦ .
(١٠) ينظر فى عزو القراءة للسلمى: مختصر ابن خالويه ٢٢، المحتســب ١/ ١٢٨، البحر ٢/ ٢٤٩، اللباب ٤/ ٢٤٧ .
(١١) من الآية ٢٣٧ / البقرة .

فما سودتنى عامر عن وراثة ∴ أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

ولما سكن الواو حذفت للساكن بعدها وهو اللام من (الذى) وقال ابن عطية: والذى عندى أنه استثقل الفتحة على واو متطرفة قبلها متحرك لقلة مجيئها فى كلامهم، وقال الخليل: لم يجئ فى الكلام واو مفتوحة متطرفة قبلها فتحة إلا قولهم : (عفوة) جمع عفو، وهو ولد الحمار، وكذلك الحركة ــ ما كانت ــ قبل الواو المفتوحة فإنها ثقيلة. انتهى، قال الشيخ: فقوله: لقلة مجيئها يعنى مفتوحة مفتوحا ما قبلها، وهذا الذى ذكره فيه تفصيل ، وذلك أن الحركة قبلها: إما أن تكون ضمة أو كسرة أو فتحة ، فإن كانت ضمة: فإما أن يكون ذلك فى اسم أو فعل، فإن كان فى فعل فهو كثير، وذلك جميع أمثلة المضارع الداخل عليها حرف نصب نحو (لن يغزو) والذى لحقه نون التوكيد منها نحو: (هل يغزون) وكذلك الأمر نحو: (اغزون) وكذا الماضى على (فعل) فى التعجب نحو: سرو الرجل[١] حتى إن ذوات الياء ترد إلى الواو فى التعجب فيقولون: (لقضو الرجل) [٢] على ما أحكم فى باب التصريف.

وإن كان ذلك فى اسم: فإما أن يكون مبنيا على هاء التأنيث فيكثر أيضا نحو: عرقوة[٣] وترقوة[٤] وقمحدوة[٥] وإن كان قبلها فتحة فهو قليل كما ذكر الخليل، وإن كان قبلها كسرة قلبت الواو ياء نحو: الغازى والغازية، وشذ من ذلك "أفروة" جمع فروة وهى ميلغة الكلب، و"سواسوة" وهم: المستوون فى الشر، و"مقاتوة" جمع مقتو وهو السائس الخادم، وتلخص من هذا أن المراد بالقليل واو مفتوحة

---

(١) فى لسان العرب (سرو) ٣/ ٢٠٠١ : "سرو يسرو وسراوة وسروا أى صار سريا".

(٢) من القضاء أى ما أحسن قضاءه.اللسان(قضى)٥/٣٦٦٦، ٣٦٦٧

(٣) فى اللسان (عرق) ٤/ ٢٩٠٨: "العرقوة: خشبة معروضة على الدلو، والجمع عرق" .

(٤) فى لسان العرب (ترق) ١/ ٤٢٩ : "الترقوتان: العظمان المشرفان بين ثغرة النحر والعاتق، تكون للناس وغيرهم".

(٥) فى لسان العرب (قمحد) ٥/ ٣٧٣٥: "القمحدوة: الهنة الناشزة فوق القفا، وهى بين الذؤابة والقفا، منحدرة عن الهامة إذا استلقى الرجل أصابت الأرض من رأسه".

متطرفة ما قبلها فى اسم غير ملتبس بتاء التأنيث، فليس قول ابــن عطية: "والذى عندى إلى آخره" بظاهر"[١].

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن المشهور فتح الواو فى(يعفو الذى)عطفا على المنصوب قبله،وقراءة الحسن بسكون الواو،وتوجيهها أنه استثقل الفتحة على الواو فقدرها كما يقدرها فى الألف، أما سائر العرب فيفتحونها لاستخفافها ، ولا يجوز تقديرها إلا فى ضرورة[٢].

(١) الدر المصون ٢/ ٤٩٣، ٤٩٥ .
(٢) ينظر: البحر ٢/ ٢٣٦، اللباب ٤/ ٢٢٠، مختصر ابن خالويه ٢٢

المبحث الثانى
التعاقب بين الكسر والسكون

١ـ كسر الشين وسكونها من قوله تعالى: (عشرة):

وفى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾[١].

يقول السمين: "وقرئ: ﴿عشرة﴾ بكسر الشين[٢]، وهى لغة تميم، قال النحاس: وهذا عجيب فإن لغة تميم عشرة بالكسر، وسبيلهم التخفيف، ولغة الحجاز عشرة بالسكون وسبيلهم التثقيل، وقرأ الأعمش (عشرة) بالفتح"[٣].

وفى هذا الموضع يذكر السمين فى (عشرة) لغتين الأولى: كسر الشين وهى لغة تميم، والثانية: سكون الشين وهى لغة الحجاز، ويفهم من كلام السمين الذى نقله عن أبىجعفر النحاس أن هذا من كلا الفريقين نادر لأن أهل الحجاز سبيلهم التثقيل، وأن بنى تميم سبيلهم التخفيف إلا أنه لم يوضح لنا أصحاب كل قراءة، لكنه فى موضع آخر ذكر أن كسر الشين قراءة الأعمش، وابن وثاب وطلحة ابن سليمان[٤].

ويذكر أبوحيان قراءة الجمهور التى أهملها السمين، فيقول: "وقرأ الجمهور: ﴿عشرة﴾ بسكون الشين، وقرأ مجاهد وطلحة وعيسى ويحيى بن وثاب وابن أبى ليلى ويزيد بكسر الشين ..، وقرأ ابن

---

(١) من الآية ٦٠ / البقرة .
(٢) ينظر: البحر ١/ ٢٢٩، مختصر ابن خالويه ١٢، وفيه أنها قراءة الأعمش، وكذلك الإتحاف ١/ ٣٩٥ وفيه "وكلها لغات".
(٣) الدر ١/ ٣٨٦ .
(٤) الدر المصون ٥/ ٤٨٧ .

الفضل الأنصارى والأعمش بفتح الشين..، قال الزمخشرى: الفتح لغة"[١].

ويوضح ابن جنى مخالفة كل فريق لما عرف عنه فيقول: "القراءة فى ذلك: ﴿عشرة﴾ و﴿عشرة﴾ فأما: ﴿عشرة﴾ فشاذ، وهى قراءة الأعمش، وعلى الجملة فينبغى أن يعلم أن ألفاظ العدد قد كثر فيها الانحرافات والتخليطات، ونقضت فى كثير منها العادات، وذلك أن لغة أهل الحجاز فى غير العدد نظير عشرة: عشرة، وأهل الحجاز يكسرون الثانى، وبنوتميم يسكنونه، فيقول الحجازيون: نبقة وفخذ، وبنوتميم تقول: نبقة وفخذ، فلما ركب الاسمان استحال الوضع فقال بنوتميم إحدى عشرة ، وثنتا عشرة إلى تسع عشرة، بكسر الشين، وقال أهل الحجاز: عشرة بسكونها"[٢].

٢ـ كسر الراء وسكونها من قوله تعالى: (أرنا) :

وفى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣].

يقول السمين: "وقرأ الجمهور: ﴿أرنا﴾ بإشباع كسر الراء هنا وفى النساء[٤] وفى الأعراف: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرْ ﴾[٥] وفى فصلت: ﴿أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ ﴾[٦] وقرأ ابن كثير بالإسكان فى الجميع، ووافقه فى فصلت ابن عامر، وأبوبكر عن عاصم، واختلف عن أبىعمرو، فروى عنه السوسى موافقة ابن كثير فى الجميع، وروى عنه الدورى اختلاس الكسر فيها، أما الكسر فهو الأصل، وأما الاختلاس فحسن مشهور،

---

(١) البحر ١/ ٢٢٩ .
(٢) المحتسب ١/ ٨٥، وينظر: معالم اللهجات العربية أ.د/ عبدالحميد أبوسكين ٩٣،٩٤
(٣) الآية ١٢٨ / البقرة .
(٤) من الآية ١٥٣ / النساء: ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ .
(٥) من الآية ١٤٣ / الأعراف .
(٦) من الآية ٢٩ / فصلت .

وأما الإسكان فللتخفيف، شبهوا المتصل بالمنفصل فسكنوا كسره، كما قالوا: فى فخذ: فخذ ، وكتف: كتف .

وقد غلط قوم راوى هذه القراءة وقالوا: صار كسر الراء دليلا على الهمزة المحذوفة فإن أصله: (أرءنا) ثم نقل قاله الزمخشرى تابعا لغيره، قال الفارسى: "التغليظ ليس بشئ لأنها قراءة متواترة، وأما كسرة الراء فصارت كالأصل لأن الهمزة مرفوضة الاستعمال" وقال أيضا: "ألا تراهم أدغموا فى ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾[1] والأصل: (لكن أنا) نقلوا الحركة وحذفوا ثم أدغموا، فذهاب الحركة فى (أرنا) ليس بدون ذهابها فى الإدغام، وأيضا فقد سمع الإسكان فى هذا الحرف نصا عن العرب، قال:

أرنا إدواة عبدالله نملؤها ∴ من ماء زمزم إن القوم قد ظمئوا

وأصل (أرنا) : أرءنا، فنقلت حركة الهمزة إلى الراء، وحذفت هى"[2] .

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن قراءة الجمهور: ﴿أرنا﴾ بإشباع كسرة الراء هنا، وفى النساء: ﴿فقالوا أرنا الله جهرة﴾ وفى الأعراف: ﴿أرنى أنظر﴾ وفى فصلت: ﴿أرنا اللذين﴾ ، أما ابن كثير فقد قرأ جميع ذلك بالإسكان ووافقه بعض القراء فى بعض المواضع .

---

(١) من الآية ٣٨ / الكهف .
(٢) الدر المصون ٢/ ١١٨، ١١٩ .

أما أبوعمرو بن العلاء فقد اختلف عنه، فروى عنه السوسى موافقة ابن كثير فى إسكان الجميع، وروى عنه الدورى اختلاس الكسر فيها.

ويوجه السمين القراءات الثلاث بأن الكسر هو الأصل، وأما الاختلاس فحسن مشهور، وأما الإسكان فللتخفيف شبهوا المتصل بالمنفصل فسكنوا كسره، كما قالوا فى فخذ: فخذ، وكتف: كتف.

كما نقل السمين عن قوم تغليطهم لهذه القراءة أى (قراءة الإسكان) وحجتهم فى ذلك أن الكسر دليل على الهمزة المحذوفة فإن الأصل: (أرءنا) فلما حذفت الهمزة نقلت حركتها إلى الرء.

وقد رد أبوعلى ــ رحمه الله ــ على من غلط هذه القراءة بأنه لا حجة لهم، فهى قراءة سبعية متواترة، وأيضا فإن الإسكان فى هذا الحرف مسموع عن العرب.

وقد بين الإمام أبوزرعة حجة كل فريق فيقول:

"قرأ أبوعمرو: ﴿وأرنا﴾ مختلسا، وقرأ ابن كثير: ﴿وأرنا﴾ ساكنة فى جميع القرآن، وحجته أن الراء فى الأصل ساكنة وأصلها: (أرئينا) على وزن (أكرمنا) فحذفت الياء للجزم، ثم تركت الهمزة كما تركت فى: يرى وترى، وبقيت الياء محذوفة كما كانت، والأجود أن تقول: نقلنا حركة الهمزة إلى الراء ثم حذفنا لكثرة الحركات، وقرأ الباقون: ﴿أرنا﴾ بكسر الراء، وحجتهم فى ذلك أن الكسرة إنما هى كسرة همزة ألغيت وطرحت حركتها على الراء، فالكسرة دليل الهمزة، فحذفها قبيح[1].

---

(١) حجة القراءات ١١٤، ١١٥، وينظر فى عزو القراءات لأصحابها وتوجيهها: السبعة فى القراءات ١٧٠، ١٧١، الإتحاف ١/ ٤١٨، تفسير الطبرى ١/ ٨١١، ٨١٢، البحر ١/ ٣٩٠، ٣٩١، اللباب ٤٨٧/٢، والإتحاف ١/ ٤٥٠ .

٣ـ كسر السين وسكونها من قوله تعالى: (وسع):

فى قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾[١].

يقول السمين: "قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ الجمهور على ﴿وسع﴾ بفتح الواو وكسر السين وفتح العين فعلا ماضيا و﴿كرسيه﴾ بالرفع على أنه فاعله،وقرئ ﴿وسع﴾ سكن عين الفعل تخفيفا نحو: علم فى علم"[٢].

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن قراءة الجمهور: ﴿وسع﴾ على زنة (فعل) بكسر العين فعلا ماضيا، وفى قراءة أخرى ﴿وسع﴾ على فعل بسكون العين تخفيفا، وحجة هذه القراءة ما سمع عن العرب فى علم: علم بسكون اللام، لكن السمين لم يذكر لنا من القارئ بهذه القراءة. وقال عنها أبوحيان إنها قراءة شاذة[٣] ولم يذكر ابن خالويه إلا: ﴿وسع كرسيه﴾ بعض روايات يعقوب[٤].

٤ـ الميتة، بالتخفيف والتشديد:

وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

يقول السمين: "والجمهور على تخفيف (الميتة) فى جميع القرآن، وأبوجعفر بالتشديد وهو الأصل، وهذا كما تقدم فى أن (الميت) مخفف من (الميت) وأن أصله: ميوت، وهما لغتان ، وسيأتى تحقيق ذلك عند قوله: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾[٦] فى آل عمران،

---

(١) من الآية ٢٥٥ / البقرة .
(٢) الدر المصون ٢/ ٥٤٤ .
(٣) البحر ٢/ ٢٧٩ ، وينظر اللباب ٤/ ٣٢١ .
(٤) مختصر ابن خالويه ٢٣ .
(٥) الآية ١٧٣/ البقرة .
(٦) من الآية ٢٧ / آل عمران .

ويحكى عن قدماء النحاة أن (الميت) بالتخفيف: من فارقت روحه جسده، وبالتشديد: من عاين أسباب الموت ولم يمت، وحكى ابن عطية عن أبىحاتم أن ما قد مات يقالان فيه، وما لم يمت بعد لا يقال فيه بالتخفيف، ثم قال: ولم يقرأ أحد بتخفيف ما لم يمت إلا ما روى البزى عن ابن كثير: ﴿وما هوبميت﴾ [١] وأما قوله:

إذا ما مات ميت من تميم .:. فسرك أن يعيش فجئ بزاد

فقد حمل على من شارف الموت، وحمله على الميت حقيقة أبلغ فى الهجاء.

وأصل (ميتة) : (ميوتة) فأعلت بقلب الواو ياء، وإدغام الياء فيها، وقال الكوفيون: أصله مويت ووزنه فعيل"[٢].

ويقول ابن جرير فى قراءتى تخفيف الياء وتشديدها من (الميتة): "والصواب من القول فى ذلك عندى أن التخفيف والتشديد فى ياء (الميتة) لغتان معروفتان فى القراءة، فبأيهما قرأ ذلك القارئ فمصيب لأنه لا اختلاف فى معنييهما"[٣].

وفى قوله تعالى: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[٤].

يقول السمين : "قوله: ﴿مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ اختلف القراء فى هذه اللفظة على مراتب: فقرأ ابن كثير، وأبوعمرو، وابن عامر، وأبوبكر عن عاصم لفظ (الميت) من غير تاء تأنيث مخففا فى جميع القرآن، وسواء وصف به الحيوان نحو: ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ أو الجماد نحو قوله: ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾[٥]، ﴿لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾[٦] منكرا أو

---

(١) من الآية ١٧ / إبراهيم .
(٢) الدر المصون ٢/ ٢٣٦، ٢٣٧، وينظر: تفسير الطبرى ٢/١٢٠ .
(٣) تفسير الطبرى ٢/ ١٢٠، اللباب ٣/ ١٧٠، ١٧١ .
(٤) الآية ٢٧ / آل عمران .
(٥) من الآية ٩ / فاطر .
(٦) من الآية ٥٧/ الأعراف .

أو معروفا كما تقدم ذكره، إلا قولـــه تعـــالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[١]، وقوله: ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾[٢] فى إبراهيم، مما لم يمت بعـــد فإن الكل ثقلوه، وكذلك لفظ (الميتة) فى قولـــه: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾[٣] دون الميتة المذكورة مع الدم[٤] فإن تيك[٥] لم يشددها إلا إلا بعض قراء الشواذ، وقد تقدم ذكرها فى البقرة، وكذلك قولـــه: ﴿ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً ﴾[٦] و﴿ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾[٧] و﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً مَّيْتَةً ﴾[٨] فإنها مخففات عند الجميع، وثقـــل نـــافع جميـــع ذلـــك، والأخوان وحفص عن عاصم ، ووافقوا ابن كثير ومن معه فى الأنعام فى قوله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾[٩] وفـــى الحجـــرات: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾[١٠] ، و﴿ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾[١١] فى يس، ووافقوا نافعا فيما عدا ذلك، فجمعوا بين اللغتين إيـــذانا بأن كلا من القراءتين صحيح وهما بمعنى، لأن فيعل يجوز تخفيفـــه

---

(١) الآية ٣٠ / الزمر ٠
(٢) من الآية ١٧ / إبراهيم٠
(٣) من الآية ٣٣ / يس ٠
(٤) الآية ١٧٣ / البقرة ٠
(٥) يفهم مما ذكره الخليل وأصحاب المعاجم أن (تيك) اسم يشار به إلى المؤنث ، يقال يقال : تيك فعلت ، ولا يقال : ذيك فعلت يقول الخليل : " و(تا) و(ته) لغتان كقولك : (ذا) و(ذه) وتقول: هذى فلانة ، كقولك : هذه ، وفى لغة : هاتا فلانة ، وهى بغير هاء أحسن كقول الشاعر:

هـــا إنـــا تـــا عـــذرة إلا تكـــن نفعـــت ... فـــإن صـــاحبها قـــد تـــاه فـــى البلـــد

=وعلى هاتين اللغتين قالوا : تيك وتلك وتالك ، كما قالوا : ذلك ، وهى أقبح اللغات ، فإن ثنيت لم تقل إلا : تان وتانك ،وتين ، وتينك، فى الجر والنصب فى اللغات كلها ، فإذا صغرت لم تقل إلا : تيا ،وبها سميت المرأة " تيا" "العـــين (حـــرف التـــاء) ، وينظر: اللسان : باب التاء ٤١٠/١ ، والمصباح المنير (ذى) ٢١٣/١ ٠
(٦) من الآية ١٣٩ / الأنعام ٠
(٧) من الآية ١١ / الزخرف ٠
(٨) من الآية ١٤٥ / الأنعام ٠
(٩) من الآية ١٢٢ / الأنعام ٠
(١٠) من الآية ١٢ / الحجرات٠
(١١) من الآية ٣٣ / يس ٠

فى المعتل بحذف إحدى يائيه فيقال: هين وهين ولين ولين، وميت وميت، ومنه قول الشاعر فجمع بين اللغتين:

ليس من مات فاستراح بميت ∴ إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا ∴ كاسفا باله قليل الرجاء

وزعم بعضهم أن (ميتا) بالتخفيف لمن وقع به الموت، وأن المشدد يستعمل فيمن مات ومن لم يمت كقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ وهذا مردود بما تقدم من قراءة الأخوين وحفص، حيث خففوا فى موضع لا يمكن أن يراد به الموت، وهو قوله : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا ﴾ إذ المراد به الكفر مجازا.

هذا بالنسبة إلى القراءة، وإن شئت ضبطته باعتبار لفظ (الميت) فقلت: هذا اللفظ بالنسبة إلى قراءة السبعة ثلاثة أقسام: قسم لا خلاف فى تثقيله وهو ما لم يمت نحو : ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ و﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ وقسم لا خلاف فى تخفيفه وهو ما تقدم فى قوله: ﴿الميتة والدم﴾ و﴿إلا أن يكون ميتة﴾ وقوله: ﴿وإن يكن ميتة﴾ وقوله: ﴿فأنشرنا به بلدة ميتا﴾ وقسم فيه الخلاف وهو ما عدا ذلك، وقد تقدم تفصيله، وقد تقدم أيضا أن أصل (ميت) : ميوت فأدغم ، وأن فى وزنه خلافا: هل وزنه (فيعل) وهو مذهب البصريين، أو (فعيل) وهو مذهب الكوفيين، وأصله: مويت. قالوا لأن فيعلا مفقود فى الصحيح فالمعتل أولى ألا يوجد فيه، وأجاب البصريون عن قولهم بأنه لا نظير له فى الصحيح بأن (قضاة) جمع قاض، وفى (قضاة) خلاف طويل ليس هذا موضع ذكره ، واعترض البصريون عليهم بأنه لو كان وزنه فعيلا لوجب أن يصح كما صحت نظائره من ذوات الواو نحو: طويل وعويل وقويم، فحيث اعتل بالقلب والإدغام، امتنع أن يدعى أن أصله (فعيل)، وهو رد حسن"[1].

---

(١) الدر المصون ٣/ ١٠٣ ــ ١٠٥ .

المبحث الثالث
التعاقب بين الضم والسكون

١ـ اليسر، والعسر بضم السين وسكونها:

وفى قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١].

يقول السمين:"وقرأ أبوجعفر،ويحيى بن وثاب،وابن هرمز:﴿اليسر والعسر﴾ بضم السين،واختلف النحاة:هل الضم أصل والسكون تخفيف، أو الأصل السكون والضم للإتباع؟الأول أظهر لأنه المعهود فى كلامهم"[٢].

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن أباجعفر، ويحيى بن وثاب وابن هرمز قرءوا: ﴿اليسر، والعسر﴾ بضم السين ، ويرى أن الضم فى هذا الباب أصل والسكون تخفيف.

ويقول البناء فى عزو القراءات لأصحابها: "وأما السين من (اليسر) و(العسر) وبابهما، فأسكنها كل القراء إلا أباجعفر فضمها ...، وجه إسكان الباب كله، أنه لغة تميم وأسد وعامة قيس، ووجه الضم أنه لغة الحجازيين" وقيل: الأصل السكون وأتبع، أو الضم وأسكن تخفيفا كرسلنا"[٣].

٢ـ ضم العين وسكونها من قوله تعالى: (وكتبه ورسله):

فى قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٤].

---

(١) من الآية ١٨٥ / البقرة .
(٢) الدر المصون ٢/ ٢٨٥ .
(٣) الإتحاف ١/ ٤٠٤ ــ ٤٠٦، وينظر: معالم اللهجات العربية د/عبدالحميد أبوسكين ٨٥ .
(٤) من الآية ٢٨٥ / البقرة .

يقول السمين: "وقرأ يحيى بن يعمر ــ ورويت عن نــافع ــ : ﴿وكتبه ورسله﴾ بإسكان العين فيهما، وروى عن الحســن وأبىعمــرو تسكين سين ﴿رسله﴾ "(١).

٣ ـ ضم السين وسكونها من قوله تعالى: (بالرسل) :

وفى قولــه تعــالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾(٢).

يقول السمين: " ﴿بِٱلرُّسُلِ﴾ وهو جمع رسول بمعنى مرسل، وفعل غير مقيس فى فعول بمعنى مفعول وسكون العين لغة الحجــاز وبها قرأ يحيى والحسن، والضم لغة تميم، وقرأ السبعة بلغة تميم إلا أبا عمرو فيما أضيف إلى (نا) أو (كم) أو (هم) فإنه قــرأ بالســكون لتوالى الحركات"(٣).

وهنا يذكر السمين أن سكون العين لغة الحجاز، والضــم لغــة تميم، ولعل هذا سهو منه أو ســبق قلــم، وهــو فــى هــذا تــابع لأبىحيان(٤).

والصواب فى هذا ما قاله البناء بعد أن عدد الألفاظ التى قــرئ فيها بالإسكان والتثقيل، ومنها لفظ (الرسل) : "....، وجــه إســكان الباب كله أنه لغة تميم، وأسد، وعامة قيس، ووجه الضم أنــه لغــة الحجازيين"(٥).

وأيضا ما قاله العلامة أبوالفتح: "والتثقيل أفصــح لأنــه لغــة الحجازيين، والتخفيف فى نحو ذلك لتميم"(٦).

---

(١) الدر المصون ٢/ ٦٩٤ .
(٢) من الآية ٨٧ / البقرة .
(٣) الدر المصون ١/ ٤٩٣ .
(٤) البحر ١/ ٢٩٧، وفيه "وتسكين عينه لغة أهل الحجاز، والتحريك لغة بنى تميم" .
(٥) الإتحاف ١/ ٤٠٤ ــ ٤٠٦ .
(٦) المحتسب ١/ ٢٥٥ .

٤ـ ضم الدال وسكونها من قوله تعالى: (القدس) :

وفى قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[١].

يقول السمين: "وقرأ ابن كثير ﴿القدس﴾ بإسكان الدال، والباقون بضمها، وهما لغتان: الضم للحجاز، والإسكان لتميم"[٢].

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن ابن كثير قرأ ﴿القدس﴾ بسكون الدال، والباقون بضمها، كما ذكر أنهما لغتان : الضم لأهل الحجاز، والإسكان لتميم ٠

٥ـ ضم الشين وسكونها من قوله تعالى: (الرشد):

فى قوله تعالى : ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[٣].

يقول السمين: "والرشد: مصدر رشد بفتح العين يرشد بضمها، وقرأ الحسن: ﴿الرشد﴾ بضمتين كالعنق، فيجوز أن يكون هذا أصله، ويجوز أن يكون إتباعا، وهى مسألة خلاف. أعنى ضم عين الفعل، وقرأ أبوعبدالرحمن: ﴿الرشد﴾ بفتح الفاء والعين، وهو مصدر: رشد بكسر العين يرشد بفتحها"[٤].

٦ـ ضم الكاف وسكونها من قوله تعالى (أكلها):

فى قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾[٥].

---

(١) من الآية ٨٧ / البقرة ٠
(٢) الدر المصون ١/ ٤٩٧، وينظر: الكشف ١/ ٢٥٣، الإتحاف ١/٤٠٤ـــ ٤٠٦، البحر ١/ ٢٩٩، السبعة ١٦٤، حجة القراءات ١٠٥ ٠
(٣) من الآية ٢٥٦ / البقرة ٠
(٤) الدر المصون ٢/ ٥٤٧، وينظر: البحر ٢/ ٢٨٢، الإتحاف ١/٤٤٨ ٠
(٥) من الآية ٢٦٥ / البقرة ٠

يقول السمين: "وقرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو ﴿أُكلها﴾ بضم الهمزة وسكون الكاف، وهكذا كل ما أضيف من هذا إلى مؤنث، إلا أباعمرو فإنه يثقل ما أضيف إلى غير ضمير أو إلى ضمير المذكر، والباقون بالتثقيل مطلقا"(١).

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن نافعا، وابن كثير، وأباعمرو قرءوا ﴿أُكلها﴾ بإسكان الكاف وهكذا كل ما أضيف من هذا إلى مؤنث، إلا أن أباعمرو كان يثقل ما أضيف إلى غير ضمير وما أضيف إلى ضمير المذكر، وباقى القراء بالتثقيل فى الجميع.

وقد احتج الإمام مكى لقراءة أبىعمرو فقال: "فأما علة أبىعمرو فى قراءته، فإنه لما كان المؤنث ثقيلا أسكن استخفافا، لئلا يجتمع على الاسم ثقل التأنيث وثقل الضم، وأتى بما ليس فيه ثقل على الأصل الضم"(٢).

٧ ـ ضم السين وسكونها من قوله تعالى: (نسك) :

فى قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾(٣).

يقول السمين: "وقرأ الحسن والزهرى: ﴿نسك﴾ بسكون السين، وهو تخفيف المضموم ....، وفى النسك قولان: أحدهما: أنه مصدر يقال: نسك ينسك نسكا ونسكا بالضم، والإسكان كما قرأه الحسن، والثانى: أنه جمع نسيكة، قال ابن الأعرابى: النسيكة فى الأصل سبيكة الفضة، وتسمى العبادة بها لأن العبادة مشبهة سبيكة الفضة

---

(١) الدر المصون ٢/ ٥٩٣، وينظر: الكشف ١/ ٣١٣ ، السبعة ١٩٠، حجة القراءات ١٤٦، الإتحاف ١/ ٤٠٤ ــ ٤٠٦ .

(٢) الكشف ١/ ٣١٤ .

(٣) من الآية ١٩٦ / البقرة .

فى صفاتها وخلوصها من الآثام، وكذلك سمى العابد ناسكا، وقيل للذبيحة (نسيكة) لذلك"[١].

٨ ـ ضم اللام وسكونها من قوله تعالى (غلف):

وفى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[٢].

يقول السمين: "قوله تعالى ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة فى محل نصب بالقول قبله، وقرأ الجمهور: ﴿غلف﴾ بسكون اللام، وفيها وجهان: أحدهما ــ وهو الأظهر ــ : أن يكون جمع (أغلف) كأحمر وحمر، وأصفر وصفر، والمعنى على هذا: أنها خلقت وجبلت مغشاة لا يصل إليها الحق استعارة من الأغلف الذى لم يختتن، والثانى: أن يكون جمع (غلاف) ويكون أصل اللام الضم فخفف نحو: حمار وحمر، وكتاب وكتب، إلا أن تخفيف (فعل) إنما يكون فى المفرد غالبا نحو: عنق فى عنق، وأما (فعل) الجمع فقال ابن عطية: لا يجوز تخفيفه إلا فى ضرورة، وليس كذلك بل هو قليل وقد نص غيره على جوازه، وقرأ ابن عباس ــ ويروى عن أبىعمرو ــ بضم اللام وهو جمع (غلاف) ولا يجوز أن يكون (فعل) فى هذه القراءة جمع (أغلف) لأن تثقيل (فعل) الصحيح العين لا يجوز إلا فى شعر، والمعنى على هذه القراءة أن قلوبنا أوعية للعلم فهى غير محتاجة إلى علم آخر، التغليف كالتغشية فى المعنى"[٣].

٩ ـ إسكان الهاء من الضميرين (هو، وهى):

فى قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٤].

---

(١) الدر المصون ٢/ ٣١٧، وينظر: البحر ٢/ ٧٦، وفى مختصر ابن خالويه ١٩: "أو نسك بإسكان السين السلمى والزهرى".

(٢) الآية ٨٨ / البقرة .

(٣) الدر المصون ١/ ٥٠٠، ٥٠١،وينظر: البحر ١/ ٣٠١ .

(٤) من الآية ٢٩ / البقرة .

يقول السمين: "وقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ هو مبتدأ وعليم خبره، والجار قبله يتعلق به.

واعلم أنه يجوز تسكين هاء (هو) و(هى) بعد الواو، والفاء، ولام الابتداء،وثم نحو:﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾(١)، ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(٢)، ﴿لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾(٣)، ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾(٤)، تشبيها لـ(هو) بعضد، ولـ(هى) بكتف، فكما يجوز تسكين عين عضد وكتف يجوز تسكين هاء (هو) و(هى) بعد الأحرف المذكورة، إجراء للمنفصل مجرى المتصل لكثرة دورها معها، وقد تسكن بعد كاف الجر، كقوله:

فقلت لهم ما هن كهى فكيف لى ∴ سلو ولا أنفك صبا متيما

وبعد همزة الاستفهام كقوله:

فقمت للطيف مرتاعا فأرقنى ∴ فقلت أهى سرت أم عادنى حلم

وبعد (لكن) فى قراءة ابن حمدون: ﴿لَّكِنَّا۠ هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ (٥) وكذا من قوله: ﴿ويل هو﴾ (٦)"(٧).

وفى هذا الموضع يذكر السمين أنه يجوز تسكين الهاء من الضميرين (هو، وهى) بعد الواو، والفاء، ولام الابتداء، وثم، وعلة ذلك أن الهاء لما اتصلت بهذه الحروف وكثر دورها معها صارت كالكلمة الواحدة فأسكن الوسط تشبيها بعضد وكتف فى لغة من أسكن أوسطهما، إجراء للمنفصل مجرى المتصل.

---

(١) من الآية ٧٤/ البقرة .
(٢) من الآية ٦١ / القصص .
(٣) من الآية ٦٤ / الحج .
(٤) من الآية ٦٤/ العنكبوت.
(٥) من الآية ٣٨ / الكهف .
(٦) من الآية ٢٨٢ / البقرة .
(٧) الدر المصون ١/ ٢٤٥، ٢٤٦ .

كما ذكر السمين أيضا أن الهاء من الضميرين (هو، هى) قد تسكن بعد كاف الجر، وبعد همزة الاستفهام فى الشعر، وبعد لكن فى قراءة ابن حمدون، لكن السمين لم يذكر أصحاب كل قراءة.

ويوضح الإمام مكى أصحاب كل قراءة، كما أنه يبين حجة كل فريق، فيقول: "قوله: (وهى: وهو، وفهى، ولهى، وثم هو) قرأ ذلك أبوعمرو والكسائى وقالون: بإسكان الهاء حيث وقع، إذا كان قبل الهاء واو، أو فاء، أو لام، أو ثم، وقرأ الباقون بضم الهاء من (هو) وكسرها من (هى) غير أن أباعمرو ضم الهاء فى (ثم هو) كالباقين.

وعلة من أسكن الهاء أنها لما اتصلت بما قبلها من واو أو فاء أو لا، وكانت لا تنفصل منها، صارت كلمة واحدة، فخفف الكلمة فأسكن الوسط وشبهها بتخفيف العرب لعضد وعجز، فهو كلفظ (عضد) فخفف كما يخفف (عضدا)، وهى لغة مشهورة مستعملة، يقولون: عضد وعجز، فيسكنون استخفافا، وأيضا فإن الهاء لما توسطت مضمومة بين واوين، وبين واو وياء ثقل ذلك، وصار كأنه ثلاث ضمات فى (هو) وكسرتان وضمة فى (هى) فأسكن الهاء لذلك استخفافا.

وعلة من حرك الهاء أنه أبقاها على أصلها قبل دخول الحرف عليها، لأنه عارض لا يلزمها فى كل موضع، وأيضا فإن الهاء فى تقدير الابتداء بها، لأن الحرف الذى قبلها زائد، والابتداء فيها لا يجوز إلا مع حركتها، فحملها على حكم الابتداء بها، وحكم لها، مع هذه الحروف على حاله عند عدمهن.

فأما اختصاص أبىعمرو بالضم مع (ثم هو) وبالإسكان مع الواو، والفاء، واللام، فإنه لما رأى الواو، والفاء، واللام لا يوقف عليهن، ولا ينفصلن من الهاء، أجرى الهاء مجرى الضاد من (عضد) إذ لا ينفصل من العين فأسكن، ولما رأى (ثم) تنفصل، ويوقف عليها ، ويبتدأ بها أجرى الهاء مجراها فى الابتداء فضمها .

فأما من أسكن مع "ثم" فإنه لما كانت كلها حروف عطف حملها محملا واحدا، والاختيار فى ذلك حركة الهاء فى جميعها لأنه الأصل،

ولأن ما قبل الهاء زائد، ولأن الهاء فى نية الابتداء بها، ولأن عليه جماعة القراء، والإسكان لغة مشهورة حسنة"[١].

وقد عزا البناء اللغتين إلى أصحابهما فقال: "والتحريك لغة الحجاز، والتسكين لغة نجد"[٢].

ويقول أحد الباحثين المحدثين: "فمن أسكن الهاء مع هذه الأحرف أسكنها تخفيفا، كما أسكنت لام الأمر فى قوله تعالى: ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ [٣] ويعد هذا قياسا شكليا، وهو الذى تكون فيه المشابهة بين الكلمتين قائمة على الصورة ، والتسكين لغة أهل نجد، والتحريك لغة أهل الحجاز[٤].

---

(١) الكشف ١/ ٢٣٤، ٢٣٥، وينظر: كتاب السبعة فى القراءات ١٥١، ١٥٢، وحجة القراءات ٩٣، اللباب ١/ ٤٩٢، البحر ١٣٦/١، الإتحاف ١/ ٣٨٤ .

(٢) الإتحاف ١/ ٣٨٤ .

(٣) من الآية ٢٢ / النور.

(٤) قراءات وأفكار وقضايا د/ إبراهيم أبوسكين ٧٠ .

الفصل الثالث
الإتبـــاع فى الصوائت

الإتباع : نوع من المماثلة فى المصوتات وهو نظير الإبدال فى الصوامت ويقصد به:

أن تتحول الوحدة الصوتية المصوتة (بفقد صفة أو أكثر من صفاتها الفارقة) إلى وحدة صوتية أخرى بسبب مجاورتها لوحدة صوتية مماثلة لها وهذا نوع من Assimitltion وهى المماثلة الخاصة بتحول الوحدة الصوتية المصوتة إلى وحدة أخرى ــ أو بعبارة أخرى ــ تحول الحركة أو حرف المد إلى حركة أخرى أو حرف مد آخر مماثلين لما جاورهما، مثال ذلك أن تتحول ضمة الدال فى قوله تعالى (الحمد لله) إلى كسرة إتباعا لكسرة اللام فى قراءة بعضهم (الحمد لله) وجاء فى قراءة أخرى (الحمد لله) بضم اللام فى لفظ الجلالة إتباعا لضمة الدال .

وهذا الإتباع قد يكون خاصا ببعض اللهجات العربية وقد يكون سمة من سمات العربية المشتركة ومن أمثلة النوع الأول كسر كاف الخطاب فى " بكم وعليكم " فى لهجة بكر بن وائل وربيعة وكلب. ومثاله فى العربية المشتركة كسر هاء الضمير فى مثل "به،عليه"[١].

يقول سيبويه فى باب "ما تكسر فيه الهاء التى هى علامة الإضمار":"اعلم أن أصلها الضم وبعدها الواو،لأنها فى الكلام كله:هكذا إلا أن تدركها هذه العلة التى أذكرها لك... فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة فكما أمالوا الألف فى مواضع استخفافا كذلك كسروا هذا الهاء فالكسرة هنا كالإمالة فى الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها نحو كلاب وعابد... " ثم ذكر أن أهل الحجاز لا يعبأون بهذا الانسجام الصوتى فلا يتبعون وإنما يخرجون هذه الهاء على الأصل فيقولون

---

(١) المصوتات العربية بين الإفراد والتركيب د/ عبدالفتاح البركاوى مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد التاسع ١٤١١هـ١٩٩١م صـ٤٨٥ .

مررت بهو ،وبدارهو، ويقرأون "فخسفنا بهو وبدارهو الأرض " وقد ذكر السيوطى فى الأشباه والنظائر من هذا الإتباع أنواعا عديدة منها : إتباع حركة آخر الكلمة المعربة لحركة أول كلمة بعدها،وإتباع حركة أول الكلمة لحركة آخر كلمة قبلها كما فى القراءتين(الحمد لله، والحمد لله) ومنها إتباع حركة ما قبل الآخر لحركة الإعراب كما فى امرئ ،وامرئ ، وامرأ ٠

والذى يهمنا أن نقرره هنا أن الإتباع نوع من المماثلة خاص بالمصوتات ولا يكون فى الصوامت ، كما أنه خاص بتغير الوحدة الصوتية المصوتة إلى وحدة أخرى فإذا ما تغيرت الوحدة الصوتية إلى صورة صوتية فهذه إمالة وليست إتباعا كما أن الإتباع ليس مرادفا للتوافق الحركى لأن هذا التوافق كما يحدث بالإتباع يحدث أيضا بالإمالة[١] ٠

وسأعرض لظاهرة الإتباع من خلال ما ذكره السمين فى سورة البقرة مصنفا على هذه النقاط ٠

أ ــ إتباع الحركات فى الكلمات المتجاورة كما فى قوله تعالى : (للملائكة اسجدوا) (فمن اضطر) ٠

ب ــ إتباع حركة فاء الكلمة لحركة لامها: (المرء) ٠

جـ ــ تحريك الحلقى الساكن بحركة ما قبله إتباعا: (جهره)٠

---

(١) المصوتات العربية بين الإفراد والتركيب دراسة وصفية فى ضوء نظرية الصفات الفارقة د/ عبدالفتاح البركاوى/ مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد التاسع ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م صـ٤٨٥، ٤٨٦ ٠

أ ـ إتباع الحركات فى الكلمات المتجاورة ٠

١ ـ كسر التاء وضمها من قوله تعالى: (للملائكة اسجدوا):

فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ ﴾[١] ٠

يقول السمين : "والمشهور جر تاء (الملائكة) بالحرف وقرأ أبوجعفر بالضم إتباعا لضمة الجيم، ولم يعتد بالساكن وغلطه الزجاج، وخطأه الفارسى، وشبهه بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ ﴾[٢] بضم تاء التأنيث، وليس بصحيح لأن تلك حركة التقاء الساكنين وهذه حركة إعراب فلا يتلاعب بها، والمقصود هناك يحصل بأى حركة كانت، وقال الزمخشرى: لا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية إلا فى قراءة ضعيفة كقراءة: ﴿الحمد لله﴾ [٣] يعنى بكسر الدال، قلت: وهذا أكثر شذوذا وأضعف من ذاك مع ما فى ذاك من الضعف المتقدم ، لأن هناك فاصلا وإن كان ساكنا ٠

وقال أبوالبقاء[٤]: وهى قراءة ضعيفة جدا، وأحسن ما تحمل عليه أن يكون الراوى لم يضبط عن القارئ وذلك أن القارئ أشار إلى الضم تنبيها على أن الهمزة المحذوفة مضمومة فى الابتداء فلم يدرك الراوى هذه الإشارة ٠

وقيل: إنه نوى الوقف على التاء ساكنة ثم حركها بالضم إتباعا لحركة الجيم، وهذا من إجراء الوصل مجرى الوقف، ومثله ما روى عن امرأة رأت رجلا مع نساء فقالت: "أفى سوءة أنتنه" نوت الوقف على "سوءة" فسكنت التاء ثم ألقت عليها حركة همزة "أنتن" قلت: فعلى هذا تكون هذه الحركة حركة التقاء ساكنين، وحينئذ يكون كقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ ﴾ وبابه، وإنما أكثر الناس توجيه هذه القراءة

---

(١) من الآية ٣٤ / البقرة ٠
(٢) من الآية ٣١ / يوسف ٠
(٣) من الآية ٢ / الفاتحة ٠
(٤) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٣٠، وينظر: الإتحاف ١/ ٣٨٧ ٠

لجلالة قارئها أبى جعفر يزيد بن القعقاع شيخ نافع شيخ أهل المدينة، وترجمتهما مشهورة"(١).

وهنا يذكر السمين قراءة أبى جعفر يزيد بن القعقاع: ﴿للملائكة اسجدوا﴾ بضم التاء إتباعا لضمة الجيم، وذكر أن من العلماء من غلط أبا جعفر، ومنهم من خطأه، ومنهم من ضعف هذه القراءة وحجتهم فى هذا "أنه لا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية".

ثم نقل عن أبىالبقاء قوله: "إن أحسن ما تحمل عليه هذه القراءة أن الراوى لم يضبط عن القارئ، لأن القارئ أشار إلى الضم تنبيها على أن الهمزة المحذوفة مضمومة فى الابتداء، وأن الراوى لم يدرك هذه الإشارة"(٢).

ونقل السمين أيضا رأيا فى تفسير هذه القراءة وهو أن القارئ نوى الوقف على التاء ساكنة ثم حركها بالضم إتباعا لحركة الجيم، وهذا من إجراء الوصل مجرى الوقف.

ويلحظ أن السمين لم يوضح موقفه من هذه القراءة، واكتفى بالتعليق على قول الأئمة الذين ذكر آراءهم، وهذا يتضح فى ثلاثة مواضع من نصه، وهى:

١ - فبعد أن ذكر أن من العلماء من شبه هذه القراءة بقراءة ﴿وقالت أخرج﴾ علق السمين قائلا: وليس بصحيح لأن تلك حركة التقاء الساكنين، وهذه حركة إعراب فلا يتلاعب بها، والمقصود هناك يحصل بأى حركة كانت .

٢ - عقب على قول الزمخشرى: لا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية إلا فى قراءة ضعيفة، كقراءة: ﴿الحمد لله﴾ عقب

---

(١) الدر المصون ١/ ٢٧١، ٢٧٣، وينظر: اللباب ١/ ٥٢٦، ٥٢٧ .

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١/ ٣٠، وينظر: المحتسب ١/ ٧١ ــ ٧٣، فى تضعيف ابن جنى لهذه القراءة .

السمين قائلا: وهذا أكثر شذوذا وأضعف من ذاك، مع ما في ذاك من الضعف المتقدم، لأن هناك فاصلا وإن كان ساكنا.

٣ - عقب على قول من قال : إنه نوى الوقف على التاء ساكنة ثم حركها بالضم إتباعا لحركة الجيم، بقوله: فعلى هذا تكون هذه الحركة حركة التقاء ساكنين، وحينئذ يكون كقوله:﴿وَقَالَتِ اُخْرُجْ﴾ وبابه.

وإذا كان السمين قد اكتفى بنقل أقوال الأئمة في قراءة أبىجعفر، فإن شيخه أباحيان نقل أنها لغة أزد شنوءة، وقال ردا على من طعن فيها: "وإذا كان ذلك فى لغة ضعيفة، وقد نقل أنها لغة أزد شنوءة فلا ينبغى أن يخطأ القارئ بها ولا يغلط، والقارئ بها أبوجعفر أحد القراء المشاهير الذين أخذوا القراءة عرضا عن عبدالله ابن عباس وغيره من الصحابة، وهو شيخ نافع بن أبى نعيم أحد القراء السبعة، وقد علل ضم التاء لشبهها بألف الوصل، ووجه الشبه أن الهمزة تسقط فى الدرج، لكونها ليست بأصل ، والتاء في (الملائكة) تسقط أيضا لأنها ليست بأصل، ألا تراهم قالوا: (الملائك)، وقيل: ضمت لأن العرب تكره الضمة بعد الكسرة"[١].

ويقول ابن الجزرى ردا على من طعن فى هذه القراء بعد أن ذكر أنها لغة أزد شنوءة: "ولا التفات إلى قول الزجاج، ولا إلى قول الزمخشرى: إنما تستهلك حركة الإعراب بحركة الإتباع إلا فى لغة ضعيفة كقولهم: ﴿الحمد لله﴾ لأن أباجعفر إمام كبير أخذ قراءته عن مثل ابن عباس وغيره، وهو لم ينفرد بهذه القراءة، بل قرأ بها غيره من السلف، ورويناها عن قتيبة عن الكسائى من طريق أبىخالد، وقرأ بها أيضا الأعمش، وقرأنا له بها من كتاب المبهج وغيره، وإذا ثبت مثله فى لغة العرب فكيف ينكر"[٢].

---

(١) البحر ١/١٥٢ .
(٢) النشر ٢/٢١٠ .

٢ ـ كسر النون وضمها من قوله تعالى: (فمن اضطر):

وفى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[١].

يقول السمين: "وقرأ أبوعمرو وعاصم وحمزة بكسر نون (من) على أصل التقاء الساكنين، وضمها الباقون إتباعا لضم الثالث، وليس هذا الخلاف مقصورا على هذه الكلمة، بل إذا التقى ساكنان من كلمتين، وضم الثالث ضما لازما نحو: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾[٢]، ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟﴾[٣]، ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ﴾[٤] جرى الخلاف المذكور، إلا أن أبا عمرو خرج عن أصله فى «أو»[٥] و«قل»[٦] فضمهما، وابن ذكوان خرج عن أصله فكسر التنوين خاصة نحو: «محظورا انظر»[٧] واختلف عنه فى «برحمة ادخلوا»[٨] و«خبيثة اجتثت»[٩] وسيأتى بيان الحكمة الحكمة فى ذلك عند ذكره إن شاء الله تعالى"[١٠].

وفى موضع آخر يقول السمين: "وقد اختلف القراء فى حركة التقاء الساكنين من نحو «فمن اضطر» وبابه، فأبوعمرو وحمزة وعاصم على كسر الأول منهما، والباقون على الضم إلا ما يستثنى لبعضهم، وضابط محل اختلافهم: كل ساكنين التقيا من كلمتين ثالث ثانيهما مضموم ضمة لازمة نحو: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾[١١]، ﴿أَوِ ٱنقُصْ

---

(١) من الآية ١٧٣ / البقرة .
(٢) من الآية ١٠ / الأنعام .
(٣) من الآية ١١٠ / الإسراء .
(٤) من الآية ٣١ / يوسف .
(٥) من الآية ٣ / المزمل: ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ .
(٦) من الآية ١١٠ الإسراء: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾ .
(٧) من الآيتين ٢٠، ٢١/ الإسراء:﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ٱنظُرْ﴾ .
(٨) من الآية ٤٩ / الأعراف.
(٩) من الآية ٢٦ / إبراهيم .
(١٠) الدر المصون ٢/ ٢٣٨، ٢٣٩ .
(١١) من الآية ١٧٣ / البقرة .

مِنْهُ قَلِيلًا ﴾[١]، ﴿ وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾ ، ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ ﴾، ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ﴾[٢]، ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ ﴾، ﴿ مَحْظُورًا ٱنظُرْ ﴾ وفهم من قولى قولى كلمتين الاحتراز من أن يفصل بينهما بكلمة أخرى نحو: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ ﴾[٣] فإن هذا وإن صدق عليه أن الثالث مضموم ضما لازما إلا أنه قد فصل بينهما بكلمة أخرى وهى (ال) المعرفة، ومن قولى: ضمة لازمة الاحتراز من نحو: ﴿ أَنِ ٱمْشُواْ ﴾[٤] فإن الشين أصلها الكسر، فمن كسر فعلى أصل التقاء الساكنين، ومن ضم فللإتباع ٠

واستثنى لأبى عمرو موضعان فضمهما: وهما: ﴿قل ادعوا﴾، ﴿أو انقص منه﴾ واستثنى لابن ذكوان عن ابن عامر التنوين فكسره نحو: ﴿محظورا انظر﴾ واختلف عنه فى لفظتين: ﴿خبيثة اجتثت﴾، ﴿برحمة ادخلوا الجنة﴾ والمقصود بذلك الجمع بين اللغتين"[٥]٠

وفى هذا الموضع يذكر السمين قاعدة عامة وهى: كل ساكنين التقيا من كلمتين ثالث ثانيهما مضموم ضمة لازمة نحو: ﴿فمن اضطر﴾، ﴿أو انقص منه قليلا﴾، ﴿وقالت اخرج عليهن﴾، ﴿قل ادعوا الله﴾، ﴿أن اعبدوا﴾، ﴿ولقد استهزئ﴾، ﴿محظورا انظر﴾ فإن لكل فريق من

---

(١) من الآية ٣ / المزمل ٠

(٢) من الآية ١١٧ / المائدة: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾٠

(٣) من الآية ٥٧ / الأنعام : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾٠

(٤) من الآية ٦ / ص ٠

(٥) الدر المصون ٢/ ٢٤٠، ٢٤١ ٠

القراء نهج فى قراءته، فأبوعمرو بن العلاء، وعاصم، وحمزة على كسر الأول منهما، والباقون بالضم إلا ما يستثنى لبعضهم[١].

ويذكر الإمام مكى حجة كل فريق فيقول: "وحجة من كسر الأول أنه أتى به على أصل ما يجب له فى التقاء الساكنين، وحسن الكسر لأن هذه الحروف منفصلة من الفعل، فلم تجر مجرى ألف الوصل فى الضم، لأن الألف متصلة.

وحجة من ضم أنه شبه هذه الحروف بألف الوصل، لأن بها يوصل إلى الساكن كما يوصل بألف الوصل، فضمها كما يضم ألف الوصل فى الابتداء لانضمام الثالث، وأيضا فإنه كره الخروج من كسر إلى ضم ليس بينهما غير حرف ساكن، والساكن غير حائل لضعفه فلا يعتد به، وألف الوصل لا حظ لها فى الوصل، ولا يعتد بها حاجزا، فلما ثقل ذلك ضم الساكن الأول ليتبع الضم الضم فيكون أيسر عليه فى اللفظ وأسهل ، وهى لغة"[٢].

---

(١) ينظر فى عزو القراءات لأصحابها السبعة فى القراءات ١٧٥، ١٧٦، حجة القراءات ١٢٢، ١٢٣، الكشف ١/ ٢٧٤، ٢٧٥، اللباب ٣/ ١٧٧، ١٧٨، البحر ١/ ٤٩٠.

(٢) الكشف ١/ ٢٧٤، ٢٧٥.

ب ـ إتباع حركة فاء الكلمة لحركة لامها :

ـ فتح الميم وضمها وكسرها من قوله تعالى: (المرء):

وفى قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[١].

يقول السمين: "والجمهور على فتح ميم ﴿المرء﴾ مهموزا وهى اللغة العالية، وقرأ ابن أبى إسحاق: ﴿المرء﴾ بضم الميم مهموزا، وقرأ الأشهب العقيلى والحسن: ﴿المرء﴾ بكسر الميم مهموزا، فأما الضم فلغة محكية، وأما الكسر فيحتمل أن يكون لغة مطلقا، ويحتمل أن يكون ذلك للإتباع، وذلك أن فى (المرء) لغة، وهى أن فاءه تتبع لامه، فإن ضم ضمت، وإن فتح فتحت، وإن كسر كسرت، تقول: ما قام المرء، بضم الميم، ورأيت المرء بفتحها، ومررت بالمرء بكسرها"[٢]؟.

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن فى ميم (المرء) ثلاث قراءات: الأولى: فتح الميم وهى قراءة الجمهور، وهى اللغة العالية، الثانية: ﴿المرء﴾ بضم الميم، وبها قرأ ابن أبى إسحاق، الثالثة: ﴿المرء﴾ بكسر الميم، وبها قرأ الأشهب العقيلى والحسن، وقد وجه السمين هذه القراءات.

ويقول ابن جنى فى توجيه هذه القراءات : " وأما قراءة ابن أبى إسحاق : (المرء) بضم الميم ، والهمزة فلغة فيه ، وكذلك من قرأ : (المرء) بكسر الميم ، ومنهم من يضم الميم فى الرفع ، ويفتحها فى النصب ، ويكسرها فى الجر فيقول : هذا المرء ، ورأيت المرء ، ومررت بالمرء ، وسبب صنعة هذه اللغة : أنه قد ألف الإتباع فى

---

(١) من الآية ١٠٢ / البقرة .
(٢) الدر المصون ٢/ ٤٠ .

هذا الاسم فى نحو قولك : هذا امرؤ ، ورأيت أمرأ، ومررت بامرئ ، فيتبع حركة الراء حركة الهمزة ، فلما أن تحركت الميم وسكنت الراء لم يكن الإتباع فى الساكن ، فنقل الإتباع من الراء إلى الميم لأنها متحركة ، فجرى على الميم لمجاورتها الراء ما كان يجرى على الراء ، كما يقول ناس فى الوقف : هذا بكر ، ومررت ببكر ، لما جفا عليهم اجتماع الساكنين فى الوقف وشحوا على حركة الإعراب أن يستهلكها الوقوف عليها نقلوها إلى الكاف" [١].

ويلحظ هنا أن اختلاف اللغات فى (المرء) لا يؤثر على المعنى.

جـ- تحريك الحلقى الساكن بحركة ما قبله إتباعا :

- فتح الهاء وسكونها فى قوله تعالى: (جهرة):

وفى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[١].

يقول السمين: "وقرأ ابن عباس: ﴿جهرة﴾ بفتح الهاء وفيها قولان، أحدهما: أنها لغة فى ﴿جهرة﴾ قال ابن عطية : وهى لغة مسموعة عند البصريين فيما فيه حرف الحلق ساكن قد انفتح ما قبله، والكوفيون يجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوه، وقد تقدم تحرير القول فى ذلك، والثانى: أنها جمع (جاهر) نحو : خادم وخدم والمعنى: حتى نرى الله كاشفين هذا الأمر، وهى تؤيد كون (جهرة) حالا من فاعل (نرى)" [٢].

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن الصحابى الجليل عبدالله بن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قرأ: ﴿جهرة﴾ بفتح الهاء، وهى لغة

---

(١) المحتسب ١/ ١٠١، ١٠٢، وينظر :البحر ١/ ٣٣٢، اللباب ٣٤٨/٢، ٣٤٩، مختصر فى شواذ القراءات ١٦ .

مسموعة عند البصريين فيما فيه حرف الحلق ساكن قد انفتح ما قبله، أما الكوفيون فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوه.

ويوضح ابن جنى وجهة الفريقين، ويقرر أن الحق مع البصريين فيقول: "ومن ذلك قراءة سهل بن شعيب النهمى: ﴿جهرة﴾ و﴿زهرة﴾ كل شئ فى القرآن محركا، قال أبوالفتح: مذهب أصحابنا فى كل شئ من هذا النحو مما فيه حرف حلقى ساكن بعد حرف مفتوح: أنه لا يحرك إلا على لغة فيه، كالزهرة والزهرة، والنهر والنهر، والشعر والشعر، فهذه لغات عندهم كالنشز والنشز، والحلب والحلب، والطرد والطرد .

ومذهب الكوفيين فيه أنه يحرك الثانى لكونه حرفا حلقيا، فيجيزون فيه الفتح، وإن لم يسمعوه كالبحر والبحر، والصخر والصخر.

وما أرى القول من بعد إلا معهم، والحق فيه إلا فى أيديهم، وذلك أننى سمعت عامة عقيل تقول ذاك ولا تقف فيه سائغا غير مستكره، حتى لسمعت الشجرى يقول: أنا محموم بفتح الحاء، وليس أحد يدعى أن فى الكلام مفعول بفتح الفاء، وسمعته مرة أخرى يقول: وقد قال له الطبيب: مص التفاح وارم بثفله ــ والله لقد كنت أبغى مصه وعليته تغلو بفتح الغين، ولا أحد يدعى أن فى الكلام يفعل بفتح الفاء، وسمعت جماعة منهم ــ وقد قيل لهم: قد أقيمت لكم أنزالكم من الخبز ــ قالوا فاللحم، بفتح الحاء. وسمعت بعضهم وهو يقول فى كلامه: ساروا نحوه بفتح الحاء، ولو كانت الحاء مبنية على الفتح أصلا لما صحت اللام لتحركها وانفتاح ما قبلها، ألا تراك لا تقول: هذه عصو، ولا فتو؟ ولعمرى إنه هو الأصل لكن أصل مرفوض للعلة

---

(١) الآية ٥٥ / البقرة .
(٢) الدر المصون ١/ ٣٦٨ .

التى ذكرنا، فعلى هذا يكون جهرة وزهرة ــ إن شئت ــ مبنيا فى الأصل على (فعلة) وإن شئت كان إتباعا على ما شرحنا الآن"[١].

ويحذر ابن جنى من الركون إلى كل ما يسمع بل يجب على السامع أن يتأمل حال مورده، وكيف موقعه من الفصاحة، وبعد ذلك يحكم له أو عليه[٢].

من خلال ما ذكر يتبين لنا أن مظاهر التخفيف فى العربية لم يقتصر على الحروف بل كان التخفيف أيضا فى الصوائت ومن أمثلته الإتباع فى الحركات ومعناه : تحريك الحرف بمثل حركة حرف آخر تبعا له " والخفة فى الإتباع تتمثل فى استمرار مواضع أداء الحركة فى الفم على هيئة واحدة فى الحرفين ،وتجنب الانتقال من هيئة إلى أخرى[٣].

---

(١) المحتسب ١/ ٨٤، ٨٥ .

(٢) الخصائص ٢/ ١١، ١٢، "وقد قال الفراء فى بعض كلامه: إلا أن تسمع شيئا من بدوى فصيح فتقوله" .

(٣) خصائص اللغة العربية د/ محمد حسن جبل ١٢٤ .

الفصل الرابع
الإمالة(*)

تعد الإمالة وسيلة من وسائل التخفيف بتقريب الحركات بعضها من بعض ، بحيث لا يكون الانتقال من حركة إلى تاليتها حادا فيثقل(١) .

فالسبب الصوتى للإمالة هو فى الغالب المماثلة كما فى الإتباع ، بيد أن التماثل فى الإتباع تماثل كلى ، وهنا تماثل جزئى حيث تصير الوحدة الصوتية قريبة من مجاورتها وليست مماثلة لها تماما(٢) .

وقد عرفها الإمام مكى بأنها " تقريب الألف نحو الياء ، والفتحة التى قبلها نحو الكسرة "(٣) .

وقد ذكر العلماء أن الفتح هو الأصل ،والإمالة فرع داخل عليه يقول الإمام مكى : " اعلم أن أصل الكلام كله الفتح ، والإمالة تدخل فى بعضه ، فى بعض اللغات لعلة ، والدليل على ذلك أن جميع الكلام، الفتح فيه سائغ جائز ، وليست الإمالة بداخله إلا فى بعضه ، فى بعض اللغات لعلة ، فالأصل ما عم ، وهو الفتح(٤) .

ويقول أبو عمرو الدانى : " اعلموا أحسن الله إرشادكم أن الفتح والإمالة فيما اختلف القراء فيه لغتان مشهورتان مستعملتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، فالفتح لغة أهل الحجاز ،والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم ، وأسد ، وقيس ،

(*) لم يذكر السمين الحلبى أمثلة للإمالة فى سورة البقرة . فتناولتها من المصادر الأخرى.

(١) خصائص اللغة العربية د/ محمد حسن حسن جبل ١١٦ .

(٢) المصوات العربية بين الإفراد والتركيب دراسة وصفية فى ضوء نظرية الصفات الفارقة د/ عبدالفتاح عبدالعليم البركاوى مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد السابع١٤١١هـ-١٩٩١م صـ٤٨٧ .

(٣) الكشف ١٦٨/١ .

(٤) السابق ١٦٨/١ .

والفتح عند علمائنا : الأصل ،والإمالة فرع داخل عليه ، وذلك بدلائل خمسة :

أحدها : أن كل حرف يمال فجائز أن يفتح ابتداء ،ولا يجوز أن يمال إلا عند وجود سبب يدعو إلى إمالته ، كالياء ، والكسرة ونحوهما ٠

والثانى : أن الإمالة تجعل الحرف بين حرفين ، وليس الأصل أن يكون الحرف بين حرفين ،وإنما الأصل أن يخرج كل حرف من موضعه خالصا غير مختلط بغيره٠

الثالث : إطلاق جميع النحويين القول بجواز رسم ما كان من ذوات الياء بالألف التى الفتح منها وإن لم يقع فيه إشكال ٠

الرابع : أن الكاتب إذا أشكل عليه الحرف فلم يدر أمن ذوات الياء هو أم من ذوات الواو ، رسمه بالألف لا غير ٠

والخامس : أن الصحابة رضوان الله عليهم رسموا فى المصاحف كلها : (الصلاة) و(الزكاة) و(الحياة) و(النجاة) و(كمشكاة) و(مناة الثالثة) بالواو ، وأجاب النحويون بأن قالوا: رسموها كذلك على لغة أهل الحجاز لشدة تفخيمهم ، فتوهموا لشدة الفخامة أنها واو ، فرسموها على ذلك ، فدل ذلك كله على أن الأصل هو الفتح ، وإنما عدل عنه من اختار الإمالة من القراء والعرب ، رغبة فى أن يتناسب الصوت بمكانها ولا يختلف فيخف على اللسان ، ويسهل فى النطق ، فلذلك نحا بالفتحة نحو الكسرة ، فمالت الألف التى بعدها نحو الياء ، ولابد فى الألف الممالة من هذا وذلك ، أنها صوت لا معتمد لها فى الفم ، فلا تكون أبدا ، إلا تابعة للحركة التى قبلها

تدبرها ، فلذلك إذا أريد تقريبها من الياء بالإمالة تخفيفا وتسهيلا ، لزم أن تقرب الفتحة التى قبلها من الكسرة ، إذ الكسرة من الياء فتقوى بذلك على إمالة الألف بعدها " [١] .

الأسباب الجالبة للإمالة:

ذكر أبو عمرو الدانى أن الأسباب الجالبة للإمالة سبعة ، فقال: "اعلم أن الأسباب التى تجوز معها الإمالة سبعة: الكسرة ، والياء ، والانقلاب ، والمشبه بالمنقلب من الياء ، والإمالة للإمالة ، والألف التى ينكسر ما قبلها أو ما بعدها فى بعض الأحوال ، والألف المتطرفة فى ما كان على أكثر من ثلاثة أحرف "[٢] .

فاما الكسرة : فنحو ﴿فِي ٱلْغَارِ﴾ [٣] و ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [٤] و﴿عَابِدٌ﴾ [٥] و ﴿عَبَدُونَ﴾ [٦] و﴿بِٱلْكَفِرِينَ﴾ [٧] و﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [٨] و﴿ٱلْبَارِئُ﴾ [٩] و﴿كِلَاهُمَا﴾ [١٠] وشبهه ، أميلت الألف فيه من أجل تلك الكسرة لتقرب بذلك منها ، وسواء وقعت قبل الحرف الممال أو بعده " [١١] .

---

(١) الفتح والإمالة لأبى عمرو الدانى١٢، ١٣ .
(٢) السابق ٢٢ .
(٣) من الآية ٤٠ / التوبة.
(٤) من الآية ١٦٧ / البقرة.
(٥) من الآية ٤/ الكافرون.
(٦) من الآية ١٣٨/ البقرة.
(٧) من الآية ١٩/ البقرة.
(٨) من الآية ٥٤ / البقرة.
(٩) من الآية ٢٤ / الحشر.
(١٠) من الآية ٢٣/ الإسراء .
(١١) الفتح والإمالة لأبى عمرو الدانى ٢٢ .

وقد علل الإمام مكى للإمالة هنا " ليعمل اللسان عمـــلا واحـــدا متسفلا ، فذلك أخف من أن يعمل متصعدا بالفتحة والألف ، ثم يهبط متسفلا بالكسرة "[١] .

وأما الياء ، فنحو : ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [٢] وجيـــران ، و﴿لَا ضَيْرَ﴾ [٣] وشبهه ، تمال الألف والفتحة فيه من أجل الياء وليس مـــن مـــذاهب القراء إخلاص الإمالة فى هذا الضرب وإنما يميله نافع فـــى روايـــة ورش عنه بين بين من أجل الياء ، وحكى سيبويه الإمالة فى شيبان وغيلان وقيس غيلان من أجل الياء.

وأما الانقلاب من اليـــاء ، فنحـــو : ﴿طَابَ﴾ [٤] و﴿وَخَابَ﴾ [٥] و﴿وَسَعَىٰ﴾ [٦] و﴿رَمَىٰ﴾ [٧] و﴿وَتَرَىٰ﴾ [٨] وشبهه ، تمال ألفه لأنهـــا لأنها منقلبة من ياء ، والأصل طيب ، وخيـــب ،وســـعى ، ورمـــى ، وكذلك سائر نظائره ، ومما يدل على أنه من الياء أن اشـــتقاقه مـــن الطيب ، والخيبة ، والسعى ، والرمى ، فيدل بالإمالة على أن أصـــل الألف ياء.

وأما ما شبه بالمنقلب من الياء ، فنحو:سكارى، و﴿وَأُخْرَىٰ﴾ [٩] [٩] و﴿مُوسَىٰ﴾ [١٠] و﴿عِيسَى﴾ [١١] و﴿وَيَحْيَىٰ﴾ [١٢] وشبهه ، مما آخره

---

(١) الكشف ١/١٧١ .
(٢) من الآية ١٤٨ / البقرة .
(٣) من الآية ٥٠ / الشعراء.
(٤) من الآية ٣ / النساء.
(٥) من الآية ١٥ / إبراهيم
(٦) من الآية ١١٤ / البقرة
(٧) من الآية ١٧ / الأنفال.
(٨) من الآية ٦٢ / المائدة .
(٩) من الآية ١٣ / آل عمران.
(١٠) من الآية ٥١ / البقرة .
(١١) من الآية ٨٧ / البقرة .
(١٢) من الآية ٨٥ / الأنعام .

ألف التأنيث تمال هذه الألف وإن كانت لا أصل لها لأنها تتصرف بالياء فىالتثنية ، والجمع كقولك سكريان ،وأخريان ،وسكريات ، وأخريات فتظهر الياء فى ذلك وشبهه كما تظهر فى الفعل فى ما تقدم فشبهت بها فأميلت كما تمال٠

وأما الإمالة للإمالة ، فنحو ﴿رَءَا ﴾[١] و﴿وَنَىٰٓ ﴾[٢] وشبهها تمال فتحة الراء والنون فى ذلك لإمالة الهمزة بعدهما التى أميلت من أجل الياء المنقلبة ألفا ليخرج اللفظ بذلك على طريقة واحدة ٠

وأما الألف التى ينكسر ما قبلها فى بعض الأحوال ،فنحو: ﴿خَافَ ﴾[٣] وخافوا، وخافت وشبهه تمال ألفه للكسرة التى تكون فى أوله إذا قيل خفت والأصل فيه خوف على وزن فعل فانقلبت الواو ألفا لتحركها ، وانفتاح ما قبلها فألفه منقلبة من واو لأنه من الخوف وإمالتها للكسرة التى تلزم ألفا إذا لحق الفعل تاء المتكلم ، أو المخاطب ،وزعم بعض النحويين أن إمالتها إنما هو لأجل الكسرة التى كانت فىعين الفعل فى الأصل قبل أن يقلب عينه ، والقولان جيدان ، صحيحان٠

وأما التى ينكسر ما بعدها ، ففى نحو ما رواه أحمد بن جبير عن حمزة ، والكسائى ، أنهما أمالا الألف فى قوله﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٤] ٠ وذلك للكسرة التى كانت على الهاء التى هى عين عين قبل أن تعل اللام وتحرك هى بالضم لأجل الواو وكان الأصل

---

(١) من الآية ٧٦ / الأنعام٠
(٢) من الآية ٨٣ / الإسراء ٠
(٣) من الآية ١٨٢ / البقرة٠
(٤) من الآية ١١٢ / التوبة ٠

والناهيون فاستثقلت الضمة على الياء فأزيلت ثم حذفت لسكونها ، وسكون واو الجميع بعدها وضمت الهاء لأجلها .

وأما الألف المتطرفة فى مازاد على ثلاثة أحرف ، فنحو قوله ﴿تَدْعَىٰ﴾ [١] و﴿تُتْلَىٰ﴾ [٢] و﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾ [٣] و﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ [٤] و﴿نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [٥] وشبهه من الأفعال، وكذلك ﴿مُّسَمًّى﴾ [٦] و﴿مُصَلًّى﴾ [٧] و﴿مُّصَفًّى﴾ [٨] و﴿مُّفْتَرًى﴾ [٩] وشبهه من الأسماء تمال تمال الألف فى ذلك كله سواء كانت منقلبة من ياء أو من واو [١٠] .

---

(١) من الآية ٢٨ / الجاثية .
(٢) من الآية ١٠١ / آل عمران .
(٣) من الآية ١٢٤ / البقرة .
(٤) من الآية ٧٦ / طه .
(٥) من الآية ٨٩ / الأعراف .
(٦) من الآية ٢٨٢ / البقرة .
(٧) من الآية ١٢٥ / البقرة .
(٨) من الآية ١٥ / محمد .
(٩) من الآية ٣٦ / القصص .
(١٠) الفتح والإمالة للدانى من صـ٢٢ ــ ٢٥ .

الفصل الخامس
المخالفة فى الصوائت

يقول أستاذنا د/ عبدالفتاح البركاوى: "ذكرنا أن الإمالة فى بعض صورها قد تنشأ عن التخالف ومعناه التخلص من مصوتين متماثلين أو متقاربين يجعل أحدهما : إما صورة صوتية قريبة من المصوت المجاور كما فى الإمالة فى " طلبنا حيث تحولت الألف الأخيرة إلى حركة مماثلة قريبة من الفتحة.

وإما بتحول الوحدة الصوتية المصوتة إلى وحدة أخرى كما فى تحول الفتحة فى سكارى وكسالى إلى ضمة فنقول سكارى حيث وردت الكلمتان بالضم على لغة أخل الحجاز وقد وردت القراءة بالفتح على الأصل فى قوله تعالى : " وأنتم سكارى" وربما تمت المخالفة بالكسر وليس بالضم وذلك فى جمع فعلان على فعال فى مثل عجلان وعجال وعطشان وعطاش إلخ.

وهذا التخالف هو السبب أيضا فى بناء مثل هيهات على الكسر فى لهجة تميم وأسد وبها قرأ شيبه وأبو جعفر فى قوله تعالى : (هيهات هيهات لما توعدن) وربما تمت المخالفة عند غير أهل الحجاز بالضم كما ورد فى قراءة أبو حيوه والأحمر ــ فى هذه الآية ــ وبسبب هذه المخالفة أيضا نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة حتى يكون هناك تخالف مع الألف قبلها ولهذا السبب أيضا فتحت النون فى جمع المذكر السالم لتتخالف مع ياء المد قبلها"[١] .

وسأعرض لما ذكره السمين عن ظاهرة التخالف أو المخالفة فى الصوائت .

---

(١) مقدمة المخالفة من مقال: المصوتات العربية بين الإفراد والتركيب دراسة وصفية فى ضوء نظرية الصفات الفارقة د/ عبدالفتاح البركاوى ــ مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد التاسع ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م صـ٤٨٨ و ٤٨٩ .

١ـ ضم الباء وكسرها من قوله تعالى: (البيوت) :

فـــى قولـــه تعـــالى : ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[١].

يقول السمين: "وقــرأ أبــوعمرو وحفــص وورش: ﴿البيوت﴾ و﴿بيوت﴾ [٢] بضم الباء وهو الأصل، وقرأ الباقون بالكسر لأجل الياء، وكذلك فى تصغيره، ولا يبالى بالخروج من كسر إلى ضم لأن الضمة فى الياء، والياء بمنزلة كسرتين فكانت الكسرة التى فى الباء كأنهــا وليت كسرة، قاله أبوالبقاء"[٣].

وهنا يذكر السمين أن من قرأ: ﴿البيوت﴾ بضم الباء إنما جاء به على الأصل لأن باب (فعل) فى الجمع الكثير يأتى على (فعول) أما من قرأ ﴿البيوت﴾ بكسر الباء فإنه استثقل ضــمة البــاء، وبعــدها يــاء مضمومة فتجتمع فى الكلمة ضمتان بعدها واو ساكنة فتصير بمنزلة ثلاث ضمات وهذا من أثقل الكلام، لهذا أبدلت ضــمة البــاء كســرة لتقريب الحركة من الحرف الذى بعدها.

وقد وافق كثير من العلماء السمين فى توجيه القرائتين[٤].

٢ـ كسر الكاف وضمها من قوله تعالى: (وكسوتهن):

فى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٥].

يقول السمين: "والجمهور على ﴿كسوتهن﴾ بكســر الكــاف، وقرأ طلحة بضمها، وهما لغتان فى المصدر واسم المكسو، وفعلهــا

---

(١) من الآية ١٨٩ / البقرة .
(٢) من الآية ٥٣ / الأحزاب .
(٣) الدر المصون ٢/ ٣٠٥ .
(٤) ينظر فى توجيه القراءتين:حجة القراءات ١٢٧، الكشف ١/٢٨٤، ٢٨٥، الســبعة ١٧٨، ١٧٩، إملاء ما من به الرحمن ١/ ٨٤، الإتحاف ٤٣٢، ٤٣٣، اللبــاب ٣/ ٣٣٦ .
(٥) من الآية ٢٣٣ / البقرة .

يتعدى لاثنين، وهما كمفعولى (أعطى) فى جواز حذفهما أو حذف أحدهما اختصارا أو اقتصارا، قيل وقد يتعدى إلى واحد، وأنشدوا:

وأركب فى الروع خيفانة ∴ كسا وجهها سعف منتشر

ضمنه معنى غطى . وفيه نظر لاحتمال أنه حذف أحد المفعولين للدلالة عليه، أى كسا وجهها غبار أو نحوه"[١].

وفى هذا الموضع يذكر السمين أن قراءة الجمهور بكسر الكاف من قوله تعالى: ﴿وكسوتهن﴾ ، وقرأها طلحة بضم الكاف، وهما لغتان فى المصدر، واسم المكسو، وقد وافق السمين أبا حيان فى هذا الموضع[٢]، أما ابن خالويه فقد عزا قراءة الضم إلى السلمى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه[٣] .

ويمكن تفسير قراءة الجمهور : (وكسوتهن) بكسر الكاف أنها من قبيل المخالفة فى الحركات حتى لا تجتمع فى الكلمة الواحدة ثلاث حركات ثقال من نواع واحد.

٣ ـ كسر الهمزة، وسكونها من قوله تعالى: (بارئكم):

فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾[٤].

يقول السمين: "وقوله: ﴿إلى بارئكم﴾ متعلق بـ﴿توبوا﴾ والمشهور كسر الهمزة لأنها حركة إعراب، وروى عن أبىعمرو ثلاثة أوجه أخر: الاختلاس: وهو الإتيان بحركة خفية، والسكون المحض، وهذه قد طعن عليها جماعة من النحويين، ونسبوا راويها إلى الغلط على أبىعمرو. قال سيبويه: إنما اختلس أبوعمرو فظنه الراوى سكن ولم يضبط، وقال المبرد: لا يجوز التسكين مع توالى الحركات فى حرف الإعراب فى كلام ولا شعر، وقراءة أبىعمرو لحن، وهذه جرأة من

---

(١) الدر المصون ٢/ ٤٦٥ ، ٤٦٦ .
(٢) البحر ٢/ ٢١٤ .
(٣) مختصر فى شواذ القراءات ٢١ .
(٤) من الآية ٥٤ / البقرة .

المبرد وجهل بأشعار العرب، فإن السكون فى حركات الإعراب قد ورد فى الشعر كثيرا، ومنه قول امرئ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب ∴ إثما من الله ولا واغل

فسكن "أشرب" وقال جرير:

..... ∴ ونهر تيرى فما تعرفكم العرب

وقال آخر:

رحت وفى رجليك ما فيها ∴ وقد بدا هنك من المئزر

يريد: هنك، وتعرفكم، فهذه حركات إعراب وقد سكنت ، وقد أنشد ابن عطية وغيره ردا عليه:

قالت سليمى اشتر لنا سويقا ∴ .....

وقول الآخر:

إذا اعوججن قلت صاحب قوم ∴ .....

وقول الآخر:

إنما شعرى شهد ∴ قد خلط بجلجلان

ولا يحسن ذلك لأنها حركات بناء، وإنما منع هو ذلك فى حركات الإعراب، وقراءة أبىعمرو صحيحة وذلك أن الهمزة حرف ثقيل، ولذلك اجترئ عليها بجميع أنواع التخفيف فاستثقلت عليها الحركة فقدرت، وهذه القراءة تشبه قراءة حمزة ــ رحمه الله تعالى ــ فى قوله تعالى: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ﴾[1] فإنه سكن همزة ﴿السيى ء﴾ وصلا، والكلام عليهما واحد، والذى حسنه هنا أن قبل كسرة الهمزة راء مكسورة، والراء حرف تكرير، فكأنه توالى ثلاث كسرات فحسن التسكين ، وليت المبرد اقتدى بسيبويه فى الاعتذار عن أبىعمرو وفى عدم الجرأة عليه:

وابن اللبون إذا ما لز فى قرن ∴ لم يستطع صولة البزل القناعيس[2]

وجميع رواية أبىعمرو دائرة على التخفيف، ولذلك يدغم المثلين والمتقاربين، ويسهل الهمزة، ويسكن نحو: ﴿يَنصُرْكُمُ﴾[1]

---

(١) من الآية ٤٣ / فاطر .

(٢) البيت لجرير. ينظر: اللسان (لزز) ٥/ ٤٠٢٦ .

و﴿يَأْمُرُكُمْ﴾[٢] و﴿بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾[٣] على تفصيل معروف عند القراء"[٤].

وفى قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٥].

يقول السمين: "الجمهور على ضم الراء لأنه مضارع معرب مجرد من ناصب وجازم، وروى عن أبىعمرو سكونها سكونا محضا، واختلاس الحركة، وذلك لتوالى الحركات، ولأن الراء حرف تكرير فكأنها حرفان، وحركتها حركتان، وقيل: شبهها بعضد، فسكن أوسطه إجراء للمنفصل مجرى المتصل"[٦].

ويلحظ أن السمين يشير إلى قراءة حمزة: ﴿ومكر السيىء﴾[٧] بسكون الهمزة، وكان لزاما على الرجوع إليه لأستوضح قوله فيها، فوجدته يقول: "وقرأ العامة بخفض همزة ﴿السيىء﴾ وحمزة، والأعمش بسكونها وصلا، وقد تجرأت النحاة وغيرهم على هذه القراءة ونسبوها للحن، ونزهوا الأعمش عن أن يكون قرأ بها، قالوا: وإنما وقف مسكنا فظن أنه واصل فغلط عليه، وقد احتج لها قوم آخرون: بأنه إجراء للوصل مجرى الوقف، أو أجرى المنفصل مجرى المتصل، وحسنه كون الكسرة على حرف ثقيل بعد ياء مشددة مكسورة وقد تقدم أن أبا عمرو يقرأ : ﴿إلى بارئكم﴾ بسكون الهمزة فهذا أولى لزيادة الثقل ههنا"[٨].

وبعد عرض المواضع التى ذكرها شيخنا السمين عن تسكين حرف الإعراب يتبين لنا أن العلماء فرق ثلاث فى الحكم على قراءة أبىعمرو: ﴿بارئكم﴾ و﴿يأمركم﴾ بإسكان لام الكلمة، وكذلك موقفهم من

---

(١) من الآية ١٦٠ / آل عمران .
(٢) من الآية ٦٧ / البقرة .
(٣) من الآية ٥٣ / الأنعام .
(٤) الدر المصون ١/ ٣٦١ ــ ٣٦٤ .
(٥) الآية ٦٧ / البقرة .
(٦) الدر المصون ١/ ٤١٦ ، ٤١٧ .
(٧) من الآية ٤٣ / فاطر .
(٨) الدر المصون ٩/ ٢٤١ .

قراءة حمزة: ﴿ومكر السيئ﴾ بإسكان الهمزة من (السيئ) عند الوصل: فمنهم من لحن هذه القراءات، ومنهم من قال: إن أبا عمرو كان يختلس الحركة، وإن الراوى لم يضبط عن أبىعمرو فظن السامع أنه سكن، ومنهم من قبلها لأن ذلك جار على ألسنة العرب يجرون المنفصل من كلمتين مجرى المتصل نحو إبل وعنق، وعزى هذا التخفيف لقبائل تميم وبنى أسد وبعض أهل نجد.

فأما الذين قالوا إن هذه القراءة لحن فهم:

١ - المبرد: فيقول فى قراءة أبىعمرو بن العلاء: ﴿بارئكم﴾، و﴿يأمركم﴾، وفى قراءة حمزة: ﴿ومكر السيئ﴾: "هذا لحن لأنه زوال الإعراب"(١) وقال أيضا: "إن هذا لا يجوز فى كلام ولا شعر لأن حركات الإعراب لا يجوز حذفها لأنها دخلت للفروق بين المعانى"(٢).

٢ - أبوإسحاق الزجاج الذى قال فى قراءة حمزة: ﴿ومكر السيئ﴾ بإسكان الهمزة: "وهو لحن لا يجوز"(٣).

٣ - أبوجعفر النحاس يقول معقبا على قول الزجاج: "وهو لحن لا يجوز": "قال أبوجعفر: وإنما صار لحنا لأنه حذف الإعراب منه ... وقد احتج بعض النحويين لحمزة فى هذا بقول سيبويه، وأنه أنشد هو وغيره:

إذا اعوججن قلت صاحب قوم ∴ بالدو أمثال السفين العوم

وقال الآخر:

فاليوم أشرب غير مستحقب ∴ إثما من الله ولا واغل

وهذا لا حجة فيه لأن سيبويه لم يجزه، وإنما حكاه عن بعض النحويين، والحديث إذا قيل فيه عن بعض العلماء لم يكن فيه حجة،

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٤٩٧، البحر ٧/ ٣١٩، ٣٢٠، الدر ١/٣٦٢، النشر ٢/ ٢١٣.

(٢) المحرر الوجيز ١٢/ ٢٦٣، ٢٦٤، إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٧٧، البحر ٧/ ٣١٩، ٣٢٠.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٧٧، البحر ٧/ ٣١٩، ٣٢٠.

فكيف وإنما جاء به على الشذوذ، وضرورة الشعر، قد خولف فيه. وزعم أبوإسحاق أن أبا العباس أنشده:

إذا اعوججن قلت صاح قوم ∴ لالالالالالالالالالا

وأنه أنشده "فاليوم فاشرب" بالفاء"[١].

لكن النحاس فى قراءة أبىعمرو: ﴿بارئكم﴾ بالإسكان يقول تعقيبا على قول المبرد: "إنه لحن لا يجوز فى كلام ولا شعر لأنها حرف الإعراب" يقول النحاس معقبا:

"وقد أجاز ذلك النحويون القدماء الأئمة، وأنشدوا:

إذا اعوججن قلت صاحب قوم ∴ لالالالالالالالا[٢]

فكيف يحتج النحاس لقراءة أبىعمرو، ويلحن قراءة حمزة؟

وأما الذين قالوا إن أباعمرو كان يختلس الحركة فهم:

١- **الإمام سيبويه** ، يقول فى الكتاب: "هذا باب الإشباع فى الجر، والرفع، وغير الإشباع والحركة كما هى فأما الذين يشبعون فيمططون وعلامتها واو، وياء وهذا تحكمه لك المشافهة، وذلك قولك: يضربها، ومن مأمنك، وأما الذين لا يشبعون فيختلسون[٣] اختلاسا، وذلك قولك: يضربها ومن مأمنك يسرعون اللفظ ومن ثم قال أبوعمرو: ﴿إلى بارئكم﴾ ، ويدلك على أنها متحركة قولهم: من مأمنك فيبينون النون، فلو كانت ساكنة لم تحقق النون، ولا يكون هذا فى النصب لأن الفتح أخف عليهم ....، وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المرفوع والمجرور فى الشعر، شبهوا ذلك بكسرة فخذ حيث حذفوا فقالوا: فخذ، وبضمة عضد حيث حذفوا فقالوأ: عضد لأن الرفعة ضمة والجرة كسرة. قال الشاعر:

رحت وفى رجليك ما فيهما ∴ **وقد بدا هنك من المئزر**

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٧٧، ٣٧٨، البحر ٧/ ٣١٩، ٣٢٠ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٢٦ .

(٣) الاختلاس هو الإتيان بثلثى الحركة قال الجعبرى معناه بأكثرها بخلاف الروم فإنه الإتيان بأقلها: الإتحاف ١٣٦ .

ومما يسكن فى الشعر هو بمنزلة الجرة إلا أن من قال فخذ لم يسكن ذلك، قال الراجز:

إذا اعوججن قلت صاحب قوم ∴ بالدو أمثال السفين العوم

فسألت من ينشد هذا البيت من العرب فزعم أنه يريد (صاحبى) وقد يسكن بعضهم فى الشعر ويشم ، وذلك قول الشاعر امرئ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب ∴ إثما من الله ولا واغل

ولم يجئ هذا فى النصب لأن الذين يقولون: كبد وفخذ لا يقولون فى جمل: جمل"[١].

فسيبويه يرى أن قراءة أبىعمرو إنما هى اختلاس لا إسكان، لكن الإسكان المحض، والإسكان المشوب بالحركة إنما يكونان فى الشعر، كما أنه شبه إسكان المرفوع والمجرور بإسكان الضمة فى (عضد) والكسرة فى (فخذ) تشبيها لحركة الإعراب بحركة البناء من حيث خفف كلاهما بالإسكان.

٢ ـ **أبوالفتح عثمان بن جنى:** أما أبوالفتح فقد تعصب لكلام سيبويه، واتهم الرواة بعدم الضبط، وجعل سيبويه أذكى منهم فيقول:

"... وكذلك قوله عزوجل: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ ﴾ مختلسا غير ممكن كسرة الهمزة، حتى دعا ذلك من لطف عليه تحيل اللفظ إلى أن ادعى أن أباعمرو كان يسكن الهمزة، والذى رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لا حذفها البتة، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنا، ولم يؤت القوم فى ذلك من ضعف أمانة ، لكن أتوا من ضعف دراية"[٢].

ويقول فى موضع آخر: "وأما ﴿إن الله يأمركم﴾ و﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ فرواها القراء عن أبىعمرو بالإسكان، ورواها سيبويه

---

(١) الكتاب ٤/ ٢٠٢ : ٢٠٤ .

(٢) الخصائص ١/ ٧٢، ٧٣، ويعقب فضيلة الأستاذ محمد على النجار محقق الخصائص فيقول: "يريد أن الإسكان لا وجه له فى العربية، ولو كان القراء على دراية بذلك لترددوا فى رواية الإسكان" هامش(١) ص٧٣ جـ١ .

بالاختلاس، وإن لم يكن، كان أزكى، فقد كان أذكى، ولا كان بحمد الله مزنا بريبة، ولا مغموزا فى رواية"[١].

ويذهب أستاذنا الدكتور عبدالفتاح البركاوى إلى ما ذهب إليه سيبويه وابن جنى ، ويرى أن قراءة أبى عمرو إنما هى اختلاس لا إسكان ، فيقول فى مبحث الاختلافات اللهجية على المستوى النحوى[٢] تحت نقطة (جـ) اختلاس الحركة الإعرابية وإظهارها:

" تظهر الحركة الإعرابية فى اللغة العربية المشتركة ، وفى كثير من اللهجات ، إلا أن هناك بعض القبائل التى تختلسها اختلاسا فلا يسمع منها سوى قدر ضئيل ، قد يخفى على غير ذى الحس المرهف الذى يظن حينئذ أنها قد أسقطت ولم يبق منها أثر ، وقد وردت هذه الظاهرة فى كثير من الأبيات الشعرية ، وفى بعض القراءات القرآنية" [٣] .

وقد أفاض العلماء فى بيان أن العرب قد تعمد للإسكان تخفيفا، وأن تسكين المرفوع فى نحو (يشعركم) لغة تميم وأسد، فلا وجه للإنكار من جهة الدراية. وابن جنى فى الطعن على القراء فى هذا الموطن تابع للمبرد قبله، وهذه نزعة جانبهما فيها الإنصاف[٤].

وقد دافع علماء كثير من العلماء عن قراءة أبىعمرو، وحمزة بتسكين حرف الإعراب، يقول الفراء: "وإنما يستثقل الضم والكسر لأن فى مخرجيهما مؤونة على اللسان، والشفتين تنضم الرفعة بهما فتثقل الضمة، ويمال أحد الشدقين إلى الكسرة، فترى ذلك ثقيلا، والفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة"[٥].

---

(١) الخصائص ٢/ ٣٤٠ .
(٢) الفصحى ولهجاتها د/ عبدالفتاح البركاوى ١٧٦ ــ ١٨٦ .
(٣) نفسه ١٨٤ .
(٤) العبارة لفضيلة الأستاذ: محمد على النجار، محقق الخصائص هامش(١) ص٧٣ جـ١ .
(٥) معانى القرآن للفراء ٢/ ١٢، ١٣ .

وقد قال النحاس فى أحد قوليه فى رده على المبرد: "وقد أجاز ذلك النحويون القدماء الأئمة وأنشدوا: إذا اعوججن...." [١].

وممن رد على من ينكر حذف حركة الإعراب الشيخ أبوعلى الفارسى فيقول:

"فأما من زعم أن حذف هذه الحركة لا يجوز من حيث كانت علما للإعراب فليس قوله بمستقيم، وذلك أن حركات الإعراب قد تحذف لأشياء، ألا ترى أنها تحذف فى الوقف، وتحذف من الأسماء والأفعال المعتلة، فلو كانت حركة الإعراب لا يجوز حذفها من حيث كانت دلالة الإعراب، لم يجز حذفها فى هذه المواضع، فإذا جاز حذفها فى هذه المواضع لعوارض تعرض، جاز حذفها أيضا فيما ذهب إليه سيبويه، وهو التشبيه بحركة البناء، والجامع بينهما أنهما جميعا زائدان، وأنها قد تسقط فى الوقف والاعتلال كما تسقط التى للبناء للتخفيف"[٢].

ويقول أبوحيان فى رده على المبرد: "ومنع المبرد التسكين فى حركة الإعراب، وزعم أن قراءة أبىعمرو لحن . وما ذهب إليه ليس بشئ لأن أباعمرو لم يقرأ إلا بأثر عن رسول الله ﷺ ، ولغة العرب توافقه على ذلك فإنكار المبرد لذلك منكر"[٣] ويقول أبوحيان: "وكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراء ولا يجوز لهم ذلك"[٤].

أما عن موقف السمين من هذه القراءة فهو من المدافعين عنها، يقول فى رده على المبرد: "وقال المبرد: لا يجوز التسكين مع توالى الحركات فى حرف الإعراب فى كلام ولا شعر، وقراءة أبىعمرو لحن. وهذه جرأة من المبرد وجهل بأشعار العرب فإن السكون فى حركات الإعراب قد ورد فى الشعر كثيرا ...، وقراءة أبىعمرو صحيحة، وذلك أن الهمزة حرف ثقيل، ولذلك اجترئ عليها بجميع أنواع التخفيف فاستثقلت عليها الحركة فقدرت، وهذه القراءة

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٢٦ .
(٢) الحجة لأبى على الفارسى ٢/ ٦٧ .
(٣) البحر ١/ ٢٠٦ .
(٤) نفسه ٤/ ٢٧١، ٢٧٢ .

تشبه قراءة حمزة ــ رحمه الله تعالى ــ فى قوله تعال: ﴿ومكر السيئ ولا﴾ فإنه سكن همزة (السيئ) وصلا، والكلام عليهما واحد، والذى حسنه هنا أن قبل كسرة الهمزة راء مكسورة، والراء حرف تكرير، فكأنه توالى ثلاث كسرات فحسن التسكين، وليت المبرد اقتدى بسيبويه فى الاعتذار عن أبىعمرو وفى عدم الجرأة عليه ... وجميع رواية أبىعمرو دائرة على التخفيف، ولذلك يدغم المثلين، والمتقاربين، ويسهل الهمزة، ويسكن نحو: ﴿ينصركم﴾ و﴿يأمركم﴾ و﴿بأعلم بالشاكرين﴾ على تفصيل معروف عند القراء"[(١)].

وقد دافع ابن الجزرى عن قراءة الإسكان محتجا بقول أبىعمرو الدانى، فيقول: "وقال الحافظ أبوعمرو: والإسكان ــ يعنى فى هذه الكلمة ــ أصح فى النقل ، وأكثر فى الأداء وهو الذى أختاره وآخذ به. قلت : وقد طعن المبرد فى الإسكان ومنعه، وزعم أن قراءة أبىعمرو ذلك لحن ونقل عن سيبويه أنه قال إن الراوى لم يضبط عن أبىعمرو لأنه اختلس الحركة فظن أنه سكن[(٢)] . انتهى، وذلك ونحوه مردود على قائله ووجهها فى العربية ظاهر غير منكر وهو التخفيف، وإجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة نحو إبل، وعضد، وعنق، على أنهم نقلوا أن لغة تميم تسكين المرفوع من (يعلمهم) ونحوه، وعزاه الفراء إلى تميم وأسد . مع أن سيبويه لم ينكر الإسكان أصلا بل أجازه، وأنشد عليه:

---

(١) الدر المصون ١/ ٣٦٢ ــ ٣٦٤ .

(٢) ليست هذه عبارة سيبويه، وقد نقلت كلام سيبويه فى هذا الموضع من الكتاب ٤/ ٢٠٢ ــ ٢٠٤، وقد نقل العلماء هذه العبارة عن سيبويه: "إن الراوى لم يضبط عن أبىعمرو، لأن أباعمرو اختلس الحركة فظن السامع أنه سكن" ينظر: إملاء ما من به الرحمن ١/٣٧، والدر ١/ ٣٦٢، والنشر ٢/ ٢١٣، فالذى فى الكتاب ٤/٢٠٢ ــ ٢٠٤ أن أبا عمرو قرأ بالاختلاس دون اتهام الراوى بعدم الضبط عن أبىعمرو، لكن الذى اتهم الراوى بعدم الضبط هو ابن جنى حيث قال: "ولم يؤت القوم فى ذلك من ضعف أمانة، لكن أتوا من ضعف دراية" الخصائص ١/ ٧٢، ٧٣ .

فاليوم أشرب غير مستحقب ∴ ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا ا

ولكنه قال القياس غير ذلك، وإجماع الأئمة على جواز تسكين حركة الإعراب فى الإدغام دليل على جوازه هنا"[١].

فقد بين ابن الجزرى أن قراءة أبىعمرو بالإسكان، وأن طعن الطاعنين فيها مردود، كما يرد قول من يدعى أن سيبويه اتهم الراوى بعدم الضبط لأن سيبويه لم ينكر الإسكان بل أجازه فى الشعر، وقراءة أبىعمرو صحيحة لأن لغة العرب توافقه على ذلك، وإسكان حركة الإعراب لغة تميم وأسد وإسكان حركة الإعراب فى الإدغام دليل على جواز إسكانها هنا.

أما اتهام الرواة بعدم الضبط عن أبىعمرو، وأنهم توهموا الاختلاس إسكانا فهم من هذا مبرءون، وعنه منزهون، وكيف يقبل منهم الرواية فى موضع ويساء بهم الظن فى آخر، وعن هذا يجيب ابن الجزرى قائلا: "فإن من يزعم أن أئمة القراءة ينقلون حروف القرآن من غير تحقيق، ولا بصيرة، ولا توقيف فقد ظن بهم ما هم منه مبرءون وعنه منزهون"[٢].

نخلص من كل ما تقدم أن قراءة أبىعمرو بالإسكان وليست اختلاسا للحركة، ولا يعتد هنا بقول من لحن هذه القراءة كالمبرد، والزجاج، وأبىجعفر النحاس فى أحد قوليه، وقد أجازها النحويون القدماء الأئمة"[٣].

وأبوعمرو لم يقرأ إلا بأثر عن رسول الله ﷺ ، ولغة العرب توافقه على ذلك، وقال ابن عطية: إن هذا التسكين يحسن فى توالى الحركات[٤] ووجه قراءة أبىعمرو دائرة على التخفيف لأن العرب تستثقل توالى ثلاث حركات ثقال من نوع واحد، وإنما يستثقل الضم والكسر لأن فى مخرجيهما مؤونة على اللسان، والشفتين تنضم

---

(١) النشر ٢/ ٢١٣، ٢١٤ .
(٢) النشر ٢/ ٢١٤ .
(٣) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٢٦ .
(٤) المحرر الوجيز ١/ ٢٩٧، ٢٩٨ .

الرفعة بهما فتثقل الضمة، ويمال أحد الشدقين إلى الكسرة فترى ذلك ثقيلا، والفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة"[١].

وقد بين أبوعلى أن حركة الإعراب تحذف لعوارض تعرض كالوقف، والاعتلال والتشبيه بحركة البناء[٢]، وإذا جاز إسكان حرف الإعراب وإذهابه فى الإدغام فإسكانه وإبقاؤه أولى[٣]، والإسكان عربى جيد وقد نقله سيبويه فى بيت امرئ القيس وغيره[٤]، وذكر العلماء أن الإسكان لغة تميم وبنى أسد وبعض أهل نجد[٥] وإذا ثبت أن ذلك لغة لم يجز أن يقال لحن، وهذه القبائل نسب العلماء إليها الفصاحة وهم من "الذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدى، وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب، وهم قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ، ومعظمه، وعليهم اتكل فى الغريب وفى الإعراب والتصريف"[٦].

ومثل قراءة أبىعمرو بن العلاء: ﴿بارئكم﴾ بالإسكان قراءة حمزة ﴿ومكر السيىء﴾ بإسكان الهمزة من ﴿السيىء﴾ هى مثل قراءة أبىعمرو أداء، واعتراضا، ودفاعا. "فقرأ حمزة بإسكان الهمزة فى الوصل لتوالى الحركات تخفيفا، كما أسكنها أبوعمرو فى ﴿بارئكم﴾ لذلك، وكان إسكانها فى الطرف أحسن لأنه موضع التغيير، وقرأ الباقون بكسرها"[٧] وقد رواها ابن الجزرى والبناء عن الأعمش أيضا[٨] يقول ابن الجزرى: "قلت: وهى قراءة الأعمش أيضا وراها

---

(١) معانى القرآن للفراء ٢/ ١٢، ١٣ .
(٢) الحجة ٢/ ٦٧ .
(٣) النشر ٢/ ٢١٣، ٢١٤، والإتحاف ١٣٦ .
(٤) الكتاب ٤/ ٢٠٢، ٢٠٤ .
(٥) الإتحاف ١٣٦، النشر ٢/ ٢١٣، ٢١٤، المحتسب ١/ ١٠٩، ١١٠، البحر ١/ ٢٠٦، الهمع ١/ ٥٤ .
(٦) المزهر ٢/ ٢١١ نقلا عن أبى نصر الفارابى .
(٧) النشر ٢/ ٣٥٢ .
(٨) النشر ٢/ ٣٥٢، والإتحاف ٣٦٢ .

المنقرى عن عبدالوارث عن أبىعمرو، وقرأنا بها من روايـــة ابـــن أبىشريح عن الكسائى، وناهيك بإمامى القراءة والنحو أبى عمـــرو والكسائى"[١].

وقد دافع عن قراءة حمزة كثير من العلماء أذكر منهم الشـــيخ أباعلى فقد نقل عنه العلماء أنه أكثر فى حجته من الاستشهاد لها من كلام العرب فقالوا: "وقد أكثر أبوعلى فى الحجة من الاستشهاد مـــن كلام العرب، والاحتجـــاج للإســـكان مـــن أجـــل تـــوالى الحركـــات، والاضطرار، والوصل بنية الوقف ثم قال: "فإذا ساغ ما ذكرنـــاه فـــى هذه القراءة من التأويل لم يسغ أن يقال لحن"[٢] هذا قـــول أبىعلـــى دفاعا عن قراءة حمزة ﴿ومكر السيئ﴾ بإسكان الهمزة وقد لحنهـــا أيضا المبرد، والزجاج، وأبوجعفر النحاس[٣].

وقد دافع عنها أيضا الإمام ابن القشريى فقد نقل عنه أبوحيان والبناء فقالا: "وقال ابن القشيرى: ما ثبت بالاستفاضة أو التواتر أنه قرئ به فلا بد من جوازه، ولا يجوز أن يقال لحن"[٤].

أما عن عزو اللغتين: ظهور حركة الإعراب، وإسكانها، فـــإن أباعمرو ابن العلاء عزا ظهور حركة الإعراب لأهل الحجاز، وعـــزا إسكانها لتميم.

"قال ابن مجاهد: قال عباس: سألت أباعمرو عـــن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾[٥] فقال: أهل الحجاز يقولون (يعلمهم، ويلعنهم) مثقلـــة، ولغة تميم: (يعلمهم ويلعنهم)"[٦].

---

(١) النشر ٢/ ٣٥٢ .
(٢) البحر ٧/ ٣١٩، ٣٢٠، النشر ٢/ ٣٥٢، الإتحاف ٣٦٢ .
(٣) ينظر فى كلام المبرد والزجاج ، والنحاس فى تلحين قراءة حمزة (ومكر الســيئ) بالإسكان : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٧٧، ٣٧٨، والبحر ٧/ ٣١٩، ٣٢٠، الدر ١/ ٣٦٣، ٣٦٤، البحر ١/ ٢٠٦، النشر ٢/ ٢١٣، الهمع ١/ ٥٤ .
(٤) البحر ٧/ ٣١٩، ٣٢٠، الإتحاف ٣٦٢ .
(٥) من الآية ١٢٩ / البقرة .
(٦) المحتسب ١/ ١٠٩ .

وقد نقل أبوحيان، وابن مالك عن أبىعمرو أن لغة تميم حذف حركة الإعراب[١] أما الفراء فقد عزا الإسكان لتميم وأسد، يقول ابن الجزرى: "وعزاه الفراء لتميم، وأسد"[٢].

أما البناء فقد عزا إسكان حركة الإعراب لتميم، وبنىأسد وبعض أهل نجد. فيقول:

"وهى لغة بنى أسد، وتميم ، وبعض نجد طلبا للتخفيف عند اجتماع ثلاث حركات ثقال من نوع واحد كـ(يأمركم)، أو نوعين كـ(بارئكم) "[٣].

ولا تعارض بين عزو تسكين حركة الإعراب لتميم، وأسد، وبعض أهل نجد لأن تميما من نجد[٤]، وبنوأسد من ربيعة[٥] وكانت ديار ربيعة فى بلاد نجد وتهامة[٦]، فقد جمعتهم بيئة جغرافية واحدة هى بلاد نجد.

وقد صرح الشيخ خالد الأزهرى أن قيسا، وتميما، وربيعة، وأسدا من أهل نجد[٧].

---

(١) البحر ١/ ٢٠٦، والهمع ١/ ٥٤، وينظر:النشر ٢/ ٢١٣، ٢١٤ .
(٢) النشر ٢/ ٢١٣، ٢١٤ .
(٣) الإتحاف ١٣٦ .
(٤) معجم ما استعجم ١/ ٩٠ .
(٥) جمهرة أنساب العرب ٢٩٣ .
(٦) معجم ما استعجم ١/ ١٨، ٧٩، ٨٠، ٩٠ .
(٧) شراح التصريح ١/ ١٢٧ .

خاتمة البحث

يطيب لى بعد هذه الصحبة المباركة مع سورة البقرة وكتاب الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون أن أذكر أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال هذا البحث ٠

١ ــ اهتم علماء العربية القدامى بالصوائت عناية كبيرة لما لها من أهمية فى الأداء اللغوى ، كما تنبهوا إلى أن أى انحراف فى نطقها يؤدى إلى سوء الفهم لدى السامع ، وتبرز هذه الأهمية فى محاولة أبى الأسود الدؤلى (ت٦٩هـ) حين أراد أن يضبط رسم المصحف الشريف " فأحضر من يمسك المصحف ، وأحضر صبغا يخالف لون المداد ، وقال للذين يمسك المصحف عليه : إذا فتحت فاى فاجعل نقطة فوق الحرف ، وإذا كسرت فاى فاجعل نقطة تحت الحرف ، وإذا ضممت فاى فاجعل نقطة أمام الحرف ، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة ــ يعنى تنوينا ــ فاجعل نقطتين ، ففعل ذلك حتى أتى على أخر المصحف"[١] ٠

٢ــ تبين من خلال هذا البحث أن للصوائت دورا بارزا فى توجيه دلالة الكلمة سواء أكانت فعلا أم اسما ، وسأضرب لذلك بعض الأمثلة من خلال ما ذكره السمين فى سورة البقرة ٠

أ ــ عز يعز ، ويعز ،ويعز : (بتثليث حركة عين المضارع) ٠ فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٢] ٠

يقول السمين : " ويقال : عز يعز ، ويعز ، ويعز ، ولكن باختلاف معنى،فالمضمون بمعنى غلب،ومنه : ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾[٣]

---

(١) صبح الأعشى ١٥٦/٣ ، والفهرست لابن النديم ٤٠/١ ٠
(٢) من الآية ١٢٩ البقرة ٠

﴾[١] والمفتوح بمعنى الشدة ، ومنه : عز لحم الناقة ، أى : اشتد ، وعز على هذا الأمر ، والمكسور بمعنى النفاسة وقلة النظير"[٢].

ب ـ البكر ، والبكر (بكسر الباء وفتحها) :

فى قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾[٣]

يقول السمين : " والبكر من الحيوان : "ما لم يطرقه فحل ، والبكر بالفتح : الفتى من الإبل "[٤].

جـ الكفة ، والكفة (بضم الكاف وكسرها) :

فى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ ﴾ .[٥]

يقول السمين:" واعلم أن أصل (كافة) اسم فاعل من كف يكف ، أى : منع ومنه كف الإنسان ، لأنها تمنع ما يقتضيه ، وكفة الميزان لجمعها الموزون ، والكفة بالضم لكل مستطيل ، وبالكسر لكل مستدير،وقيل : (كافة) مصدر كالعاقبة والعافية ، وكافة وقاطبة مما لزم نصبها على الحال فإخراجهما عن ذلك لحن" [٦].

٣ ـ مما التزمه العرب فى بناء لغتهم تخفيف الحركات بتقريب بعضها من بعض ، وبالتناسب بينها وبين الحروف ، ومن شواهده الإتباع فى الحركات ، والإمالة[٧] .

٤ـ ومما التزمه العرب أيضا فى بناء لغتهم أن يراوحوا بين الحركات والسكنات فى بناء الكلمات[٨] " ألا تراهم بنوا كلامهم

---

(١) من الآية ٢٣ ص .
(٢) الدر ١٢٠/٢ .
(٣) من الآية ٦٨ البقرة .
(٤) الدر ٤٢١/١ .
(٥) من الآية ٢٠٨ البقرة .
(٦) الدر ٢٦١/٢ ، ٢٦٢ .
(٧) خصائص اللغة العربية د/ محمد حسن حسن جبل ١١٦ .
(٨) نفسه ١١٣ .

على متحرك وساكن ، ومتحركين وساكن ، ولم يجمعوا بين ساكنين فى حشو الكلمة ، ولا فى حشو بيت ، ولا بين أربعة أحرف متحركة ، لأنهم فى اجتماع الساكنين يبطئون ، وفى كثرة الحروف المتحركة يستعجلون ،وتذهب المهلة فى كلامهم ، فجعلوا الحركة عقب الإسكان"[١] .

(١) الإيضاح فى علم النحو للزجاجى ٧١ .

المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم٠

ثانيا : المصادر والمراجع البشرية:

١ - إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للعلامة الشيخ أحمد بن محمد البناء المتوفى سنة ١١١٧هـ ـ ١٧٠٥م تحقيق د/شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ـ عالم الكتب بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م٠

٢ - أسباب حدوث الحروف لابن سينا (ت٤٢٨هـ) مراجعة أ/طه عبدالرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م٠

٣ - أصوات اللغة العربية د/ عبدالغفار حامد هلال. مطبعة الجبلاوى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م٠

٤ - أصوات اللغة العربية د/ محمد حسن جبل، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م٠

٥ - أصوات العربية بين الوصف والتنظيم د/محمد عبدالحفيظ العريان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م٠

٦ - الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس . طبع ونشر مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة السادس ١٩٨١م٠

٧ - إعراب القرآن لأبىجعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس. تحقيق الدكتور زهير غازى زاهد. عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ـ الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م٠

٨ - الأعلام لخيرالدين الزركلى. دار العلم للملايين . بيروت الطبعة العاشرة ١٩٩٢م٠

٩ - إملاء ما من به الرحمن لأبىالبقاء العكبرى ـ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م٠

١٠ - الأمالى لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م٠
١١ - الإيضاح فى علل النحو ، لأبى القاسم الزجاجى (ت ٣٣٧هـ) تحقيق د/ مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت لبنان ــ الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م ٠
١٢ - البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبىحيان الأندلسى الغرناطى المتوفى سنة ٧٤٩هـ ــ دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م٠
١٣ - بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين عبدالرحمن السيوطى. تحقيق أ/محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ــ بيروت٠
١٤ - البيان والتبيين لأبىعثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق الأستاذ/ محمد عبدالسلام هارون. مكتبة الخانجى بمصر٠
١٥ - تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان. ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ط دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٧٤م٠
١٦ - التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى (ت٦٠٦هـ) الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربى، بيروت ، لبنان (د.ت)٠
١٧ - الجامع لأحكام القرآن لأبى عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، دار الكتب المصرية ١٩٥٢م٠
١٨ - حاشية الصبان على شرح الأشمونى (بهامش شرح الأشمونى) طبع ونشر دار إحياء الكتب العربية. ط عيسى الحلبى بمصر (د.ت)٠
١٩ - حجة القراءات للإمام أبىزرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق أ/ سعيد الأفغانى ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م٠
٢٠ - الحركات العربية فى ضوء علم اللغة الحديث ٠د/ الموافى الرفاعى البيلى ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ــ ١٩٩٢م٠
٢١ - خصائص اللغة العربية تفصيل وتحقيق د/ محمد حسن حسن جبل . دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٨٧م٠
٢٢ - دراسات فى علم الأصوات اللغوية د/ صلاح الدين قناوى ، ود/أحمد سلطان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٦م٠

٢٣ - دراسات فى التجويد والأصوات اللغوية د/عبدالحميد محمد أبوسكين ، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
٢٤ - الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ ، دار الجيل بيروت ـ لبنان ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٥ - الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبى المتوفى سنة ٧٥٦هـ، تحقيق الدكتور/ أحمد محمد الخراط. دار القلم للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٦ - سر صناعة الإعراب (الجزء الأول) لأبىالفتح عثمان بن جنى، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط مصطفى البابى الحلبى بمصر ١٩٥٤م.
٢٧ - السبعة فى القراءات لابن مجاهد، تحقيق د/ شوقى ضيف، الطبعة الثالثة ـ دار المعارف بمصر ١٩٨٨م.
٢٨ - السيرة النبوية لابن هشام. تقديم وتعليق الأستاذ طه عبدالرءوف سعد، نشر مكتبة الكليات الأزهرية .
٢٩ - شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك لنورالدين أبىالحسن على بن محمد الأشمونى، دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبى) د.ت
٣٠ - شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد بن عبدالله الأزهرى، ط دار إحياء الكتب العربية (د.ت).
٣١ - شرح شافية ابن الحاجب لرضى الدين بن الحسن الاستراباذى، تحقيق محمد نورالحسن، وآخرين. دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
٣٢ - الصاحبى لأبىالحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) تحقيق أ/ السيد أحمد صقر، ط عيسى البابى الحلبى بمصر، ١٩٧٧م.
٣٣ - صبح الأعشى فى صناعة الإنشا لأبى العباس أحمد بن على القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١هـ نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومى ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.
٣٤ - طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداوودى المتوفى سنة ٩٤٥هـ. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٥ - علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د/ إبراهيم محمد أبوسكين ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م٠
٣٦ - علم اللغة العام (القسم الثانى: الأصوات) د/ كمال بشر، ط دار المعارف بمصر ١٩٨٠م٠
٣٧ - علم اللغة: مقدمة للقارئ العربى د/ محمود السعران . دار الفكر العربى ١٩٩٢م٠
٣٨ - العين لأبى عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت١٧٥هـ) تحقيق د/ مهدى المخزومى، د/ إبراهيم السمرائى ، منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م٠
٣٩ - غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ـ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢م٠
٤٠ - الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى (د.ت)٠
٤١ - الفصحى واللهجات:د/ عبدالفتاح عبدالعليم البركاوى ١٤٠٥هـ٠
٤٢ - الفهرست لابن النديم (ت ٣٨٠هـ) تحقيق د/ محمد عونى عبدالرءوف ، ود/ إيمان السعيد جلال ، ط: الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ مصر ـ ٢٠٠٦م
٤٣ - قراءات وأفكار وقضايا فى اللغة د/ إبراهيم محمد أبوسكين، طبعة ٢٠٠١ / ٢٠٠٢م٠
٤٤ - الكتاب لسيبويه. تحقيق أ/ عبدالسلام هارون. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٧٧م٠
٤٥ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبىمحمد مكى بن أبى طالب القيسى المتوفى سنة ٤٣٧هـ، تحقيق د/ محيىالدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م٠
٤٦ - اللباب فى علوم الكتاب لأبىحفص عمر بن على بن عادل الدمشقى الحنبلى المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ تحقيق الشيخ/ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ/ على محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م٠
٤٧ - لسان العرب لابن منظور . دار المعارف بمصر٠

٤٨ - لغة تميم د/ ضاحى عبدالباقى. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٥م.
٤٩ - اللهجات العربية فى التراث، د/ أحمد علم الدين الجندى. الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م.
٥٠ - اللهجات العربية والقراءات القرآنية د/ إبراهيم محمد أبوسكين، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٥١ - المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبىالفتح عثمان بن جنى ، تحقيق أ/ على النجدى ناصف وآخرين، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
٥٢ - المختار من كتاب علم الصوتيات د/ عبدالله ربيع ط سنة ١٤٠٦هـ.
٥٣ - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبدالحق بن عطية المتوفى سنة ٥٤١هـ، تحقيق أ/الرحالى الفاروق، وآخرين، طبعة مؤسسة دار العلوم - الدوحة قطر - الطبعة الأولى.
٥٤ - المختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠هـ ، نشر: برجستراسر، مكتبة المتنبى بالقاهرة.
٥٥ - المدخل إلى علم اللغة د/ رمضان عبدالتواب - نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة، ودار الرفاعى بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٥٦ - المزهر فى علوم اللغة لعبدالرحمن جلال الدين السيوطى. تحقيق أ/محمد أحمد جاد المولى وآخرين، ط عيسى البابى الحلبى.
٥٧ - المصوتات العربية بين الإفراد والتركيب دراسة وصفية فى ضوء نظرية الصفات الفارقة د/ عبدالفتاح عبدالعليم البركاوى - بحث منشور فى مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة - العدد التاسع ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٥٨ - معالم اللهجات العربية د/ عبدالحميد محمد أبوسكين، مطبعة الأمانة ١٩٧٨م.
٥٩ - معانى القرآن لأبىزكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق أ/أحمد يوسف نجاتى وآخرين. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م، وطبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٦٠ - معانى القرآن لأبىالحسن سعيد بن مسعدة المجاشعى البلخى البصرى، تحقيق د/ فائز فارس، دار الأمل، ودار البشير بالكويت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٦١ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة . ط مؤسسة الرسالة . بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٦٢ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكرى ، المتوفى سنة ٤٨٧هـ، تحقيق أ/ مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦٣ - معجم المؤلفين أ/ عمر رضا كحالة ، مكتبة المتنبى ،لبنان.

٦٤ - المقتضب لأبىالعباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) تحقيق أ/محمد عبدالخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامى ، القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٦٥ - مقدمة فى أصوات اللغة العربية، وفن الآداء القرآنى د/عبدالفتاح عبدالعليم البركاوى ط سنة ٢٠٠٢م.

٦٦ - مقومات اللهجة د/ إبراهيم محمد أبوسكين، مطبعة حسان ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٦٧ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. لجمال الدين أبىالمحاسن بن تغرى بردى الأتابكى . طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

٦٨ - النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى تصحيح الأستاذ/ على محمد الضباع، مطبعة مصطفى محمد عيد (د.ت).

٦٩ - همع الهوامع لعبدالرحمن جلال الدين السيوطى، ط دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.